المأثور في النهي عن رفع القبور

هدية مجانية مع العدد
كتاب توحيد الأسماء والصفات

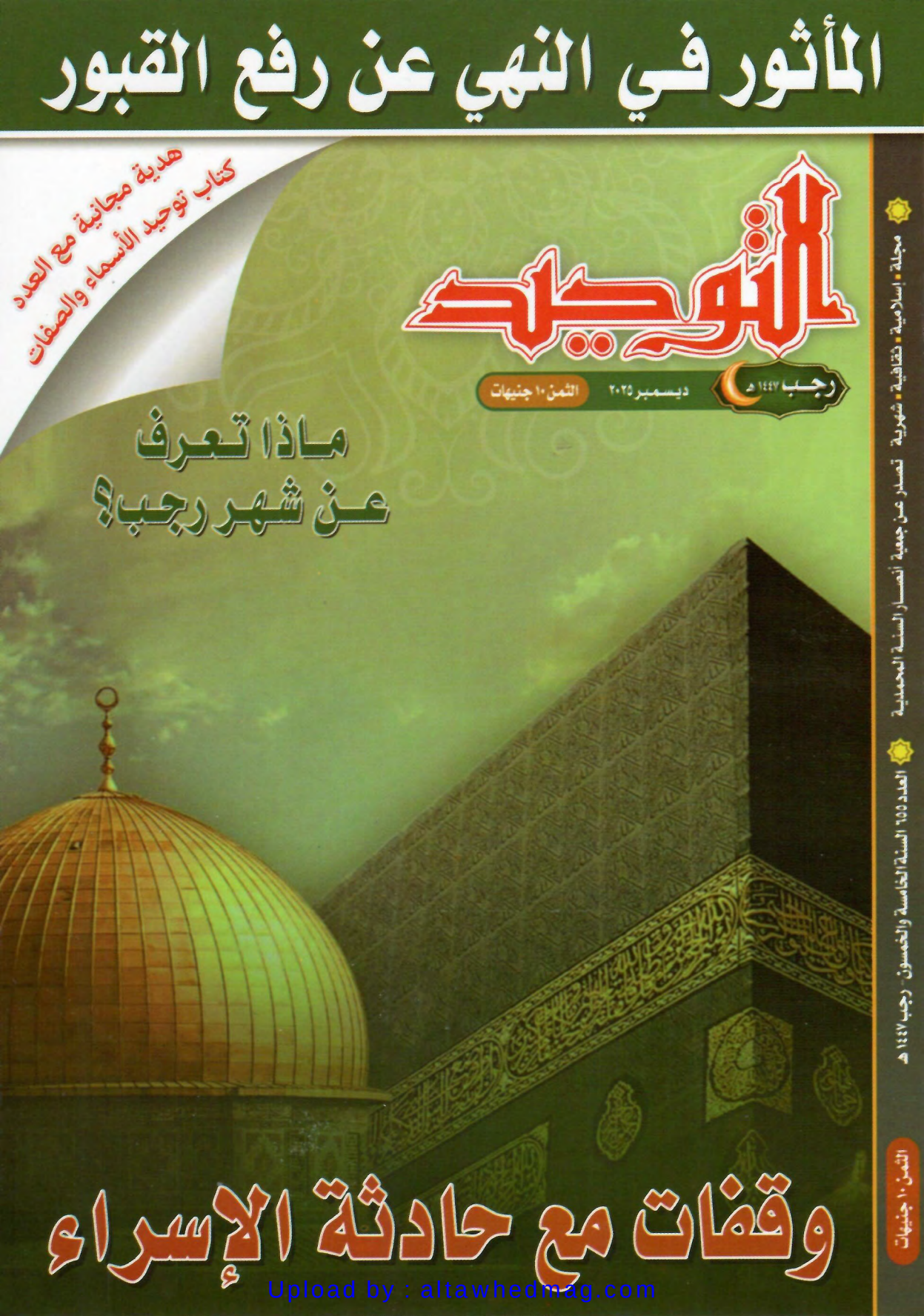

التوحيد

رجب ١٤٤٧ هـ ديسمبر ٢٠٢٥ الثمن ١٠ جنيهات

ماذا تعرف عن شهر رجب؟

وقفات مع حادثة الإسراء

مجلة • إسلامية • ثقافية • شهرية تصدر عن جمعية أنصار السنة المحمدية
العدد ٦٥٥ السنة الخامسة والخمسون رجب ١٤٤٧ هـ
الثمن ١٠ جنيهات

Upload by : altawhedmag.com

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام على مجلة التوحيد فضيلة الشيخ
أحمد يوسف عبدالمجيد

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي

١- في الداخل سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنويًا.

للتواصل: واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٨٢٣٢

٢- في الخارج ما يعادل ٨٠ دولاراً أو ٤٠٠ ريال سعودى بالجنيه المصري.

مطابع الأهرام التجارية

السلام عليكم

بريد القراء

بريد القراء: أول باب تفاعلي إعلامي منذ القرن الـ١٨

عزيزي قارئ مجلة التوحيد:

قبل أكثر من قرنين من الزمان كان باب التفاعل الوحيد بين الصحف وبين القراء، هو باب «بريد القراء».

وتطور الوضع الآن إلى رسائل إلكترونية ترسل إلى مواقع الصحف الإلكترونية للتعقيب على المقالات والأخبار مباشرة، فضلًا عن البريد العادي.

وتفعيلاً للتواصل بين مجلة التوحيد والقراء الكرام، فإنه تُفتح نافذة «بريد القراء» في مجلة التوحيد، فيُرجى لمن يرغب بالمشاركة الالتزام بالأصول الصحفية بعدم التعدي أو اتهام أشخاص بلا دليل، وينبغي أن تكون الرسالة ما بين ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ كلمة بحد أقصى، وسيتم تجاهل الرسائل التي تأتي بلا توقيع أو تحتوي على لغة لا تصلح للنشر، والله الموفق.

التواصل على الوتساب:

٠١١١١٦٧٠٦٣٩ - ٠١٠٠٥٠٠٧١٥١

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٥١ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٥١ سنة كاملة

Upload by : altawhedmag.com

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

فهرس العدد

المأثور في النهي عن رفع القبور
الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد ٢
باب التفسير د. عبد العظيم بدوي ٥
باب العقيدة د. عبد الله شاكر ٨
فلا تظلموا فيهن أنفسكم د. محمد حامد ١١
من روائع الماضي الشيخ/ أبو إسحاق الحويني ١٥
باب السنة د. جمال المراكبي ١٧
وقفات مع حادثة الإسراء الشيخ/ إبراهيم حافظ رزق ٢١
تلك أمنية المؤمن الشيخ /عبده الأقرع ٢٤
نظرات في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية
د. السيد عبد الحليم ٢٦
واحة التوحيد د. علاء خضر ٢٨
السطحية العلمية د. أحمد بن سليمان أيوب ٣٠
تعلمت من رسول الله د. جمال عبد الرحمن ٣٤
الرد على من زعم أن عقد القرض ليس من العقود الربوية د. أيمن خليل ٣٨
الألفاظ الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال
د. محمد عبد العليم الدسوقي ٤٣
التثاؤب: أحكام وآداب الشيخ/ صلاح عبد الخالق ٤٧
هكذا يفعل الغلو بأهله! د. محمد عبد العزيز ٥٠
ماذا تعرف عن شهر رجب؟ الشيخ /صلاح نجيب الدق ٥٥
القرآن كلام الله الشيخ/ مصطفى البصراتي ٥٩
سرية القراء د. سيد عبد العال ٦٢

رئيس التحرير التنفيذي:
حسين عطا القراط

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة
مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريالاً ، الإمارات ١٢ درهمًا ، الكويت ١ دينار ، المغرب دولاران أمريكيان ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريالاً ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولارات، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير ||
٨ شارع قولة عابدين. القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ . فاكس :٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني ||
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٢٠٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولار خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

Upload by : altawhedmag.com

الأثور في النهي عن رفع القبور

إعداد: فضيلة الشيخ / أحمد يوسف عبد المجيد
الرئيس العام

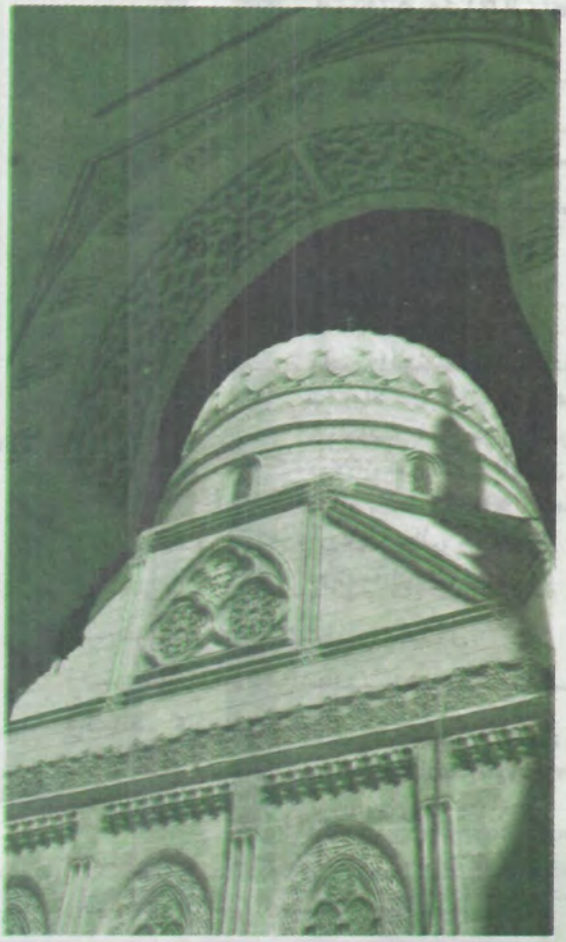

الحمد لله الذي لا معبود بحق سواه، والصلاة والسلام على رسوله ومصطفاه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله ومن اتبع هداه.

وبعد: فإن من المُسلَّم به أن التوحيد هو الغاية التي لأجلها خلق الله الجن والإنس «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦)، والعبادة كما عرفها أهل العلم: اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، وأصل دعوة الرسل والغاية من إرسالهم هو الدعوة إلى التوحيد، «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» (النحل: ٣٦).

وأصل العبادة كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ومعناها لا معبود بحق إلا الله وهذا مقتضاه نفي كل عبادة عن غير الله وإثباتها لله وحده، والشرك هو الناقض للعبادة المحبط لكل عمل، وهو

Upload by : altawhedmag.com

أعظم ذنب عُصي الله به، «إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» (لقمان: ١٣)، وقال سبحانه وتعالى: «إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ» (المائدة: ٧٢)، ولما كان الشرك بهذه الخطورة فإن الإسلام قد أغلق كل باب يوصل إليه.

ومن أخطر الوسائل التي توقع في الشرك: الغلو في الصالحين، واعتقاد أنهم يعلمون الغيب، ويملكون النفع والضر، حتى حذرنا صلى الله عليه وسلم من التجاوز في توقيره صلى الله عليه وسلم ومدحه إلى حدّ الغلو، كما فعل السابقون، فأدى بهم ذلك إلى صرف العبادة لهم من دون الله تعالى؛ ففي الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبد الله ورسوله».

> نهى الشرع الحنيف عن رفع القبور وجعل زيارتها للعظة والاعتبار

وقد نهى الشرع الحنيف عن رفع القبور وجعل زيارتها للعظة والاعتبار كما في صحيح مسلم من حديث بريدة عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تُذكّر الآخرة».

ورحم الله الإمام الشوكاني الذي تحدّث عن رفع القبور والبناء عليها وما يجري عندها؛ فقال في كتابه نيل الأوطار: «السُّنَّة أن القبر لا يُرْفَع رفعًا كثيرًا، والظاهر أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه حرام، وقد صرَّح بذلك أصحاب أحمد وجماعة من أصحاب الشافعي ومالك».

ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولًا أوليًا: القباب والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضًا هو من اتخاذ القبور مساجد. وقد لعن صلى الله عليه وسلم فاعل ذلك، وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، فيها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظّم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصد الطلب وقضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا عندها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، واستغاثوا بها وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئًا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا تجد مَن يغضب لله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالمًا ولا متعلمًا ولا أميرًا ولا وزيرًا ولا ملكًا.

ولا شك أن من أوسع الأبواب الموصلة إلى الشرك: بناء المساجد على القبور أو إدخال القبور إليها، فإن هذا ليس من هدي المسلمين، ولا من عقيدتهم، بل هي عقيدة اتبع فيها أصحابها اليهود والنصارى.

وليس هذا الكلام تشددًا ولا إرهابًا ولا غلوًا، وإنما هو كلام من أرسله ربه رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم، كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما اشتكى النبي ذكرت بعض نسائه كنيسة رأتها من أرض الحبشة، يقال لها مارية،

Upload by : altawhedmag.com

وكانت أم سلمة وأم حبيبة رضي الله عنهما أتيتا أرض الحبشة فذكرتا من حسنها وتصاوير فيها فرفع رأسه فقال: «أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله».

قال الحافظ ابن حجر: أن فائدة التنصيص على زمن النهي: «مرض رسول الله الأخير» الإشارة إلى أنه من الأمر المحكم الذي لم يُنسَخ؛ لكونه صدر في آخر حياته صلى الله عليه وسلم.

ويزداد الأمر خطرًا ويتكاثر الشر عندما تتخذ القبور مساجد؛ فقد أخرج الإمام أحمد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن من شرار الناس مَن تدركهم الساعة وهم أحياء، ومن يتخذون القبور مساجد».

وقد أدرك أهل العلم خطورة بناء المساجد على القبور؛ فحذروا من ذلك وأفردوا الأبواب المُحذِّرة من ذلك. ومن ذلك ما أخرجه البخاري في كتاب الجنائز. باب ما يُكره من اتخاذ المساجد على القبور، كما أخرج مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي مات فيه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت: لولا ذلك أُبرِزَ قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا.

وفي صحيح مسلم من حديث جندب رضي الله عنه قال: "وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد. ألا فلا تتخذوا القبور مساجد؛ فإني أنهاكم عن ذلك".

قال النووي رحمه الله شارحًا الحديث: قال العلماء إنما نهى النبي عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدًا خوفًا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به؛ فربما أدى ذلك إلى الشرك، كما جرى لكثير من الأمم الخالية.

> إنما نهى النبي عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجدا خوفا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به

أقول: وها قد وقع ما تخوَّف منه النووي رحمه الله؛ فصارت أضرحة الأولياء تُشدّ إليها الرحال طلبًا للشفاء والعطاء وافتتن بها كثير من العامة بمباركة أصحاب المنافع ممن يظن الناس بهم العلم والفقه، ولا يزال إلى يومنا هذا تُقام الأضرحة وتُرفع القبور، والطامة أن يُوصي الشيخ أو غيره أن يُدفَن في مكان كذا، وأن يُقام له ضريح مُشيَّد يَتبرك الناس به، ويصير مزارًا؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم. ألا فليحذر أهل العلم من هذه الفتنة التي بدأت تطل بقرونها وتعم بلواها ويستشري خطرها، «وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ» (البقرة: ٢٨٣).

طهَّر الله بلاد المسلمين من كل ما يُعكِّر عقيدتهم ويُشوِّه دينهم، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

سورة الأحزاب

سورة الأحزاب
سورة الأحزاب

قال الله تعالى: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا»

(الأحزاب: ٣٦- ٣٧).

إعداد د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تزويج النبي -صلى الله عليه وسلم- زينب بنت جحش زيد بن حارثة:

ذكر المفسرون في سبب نزول الآية الأولى من هذه الآيات روايات مختلفة (انظر تفسير القرآن العظيم: ٤٨٩/٣)، أرى أنسبها لما بعدها هذا الذي أذكره.

روى المفسرون أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أراد أن يحطم الفوارق الطبقية بين الناس، ويزيل الحواجز بين الفقراء والأغنياء، وبين الأحرار والموالي، أراد -صلى الله عليه وسلم- أن يبين للناس أنهم جميعًا كأسنان المشط، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى، كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» (الحجرات: ١٣).

أراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يغرس في الناس هذا المبدأ، والكلام في هذه الحال ربما يكون أقل فائدة، وأقل تأثيرا، ذلك أن النفوس جبلت على حب الرفعة والظهور، فرأى أن يغرس هذا المبدأ في نفوس الناس بشيء من التطبيق العملي، يقع في محيط أسرته -صلى الله عليه وسلم- وذوي قرابته، إذ أن العمل دائما أكثر تأثيرا في القلوب من القول، فقام -صلى الله عليه وسلم- إلى زينب بنت جحش ابنة عمته، وجده وجدها واحد، وهو عبد المطلب، سيد قريش، قام إليها يخطبها لمولاه زيد بن حارثة، الذي كان عبدا له، فأنعم عليه بالعتق، فلما ذكره لها، قالت: ما أنا بناكحته، فقال -صلى الله عليه وسلم-: بل تنكحينه، قالت: لا والله لا أنكحه أبدا، فبينما هي تحاور رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتجادله وترد عليه، إذا بالوحي ينزل لفصل القضاء، بقوله: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا» (الأحزاب: ٣٦)، فقرأها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على زينب، فقالت: يا رسول الله، أترضاه لي زوجا؟! قال: نعم،

Upload by : altawhedmag.com

قالت: إذا لا أعصي الله ورسوله، رضيت بما رضي به الله ورسوله، فتزوجته.

وهكذا نزلت على أمر الله ورسوله، وإنما رفضت أولا لأن الأمر لم يزد في بدايته على كونه مجرد عرض ومشورة، فلما نزل الوحي لم تعد القضية قضية خطبة ونكاح، توافق أو لا توافق، وإنما بعد نزول الوحي صارت القضية طاعة لله ورسوله أو معصية، فلم يعد أمام زينب إلا السمع والطاعة لله ورسوله، وإلا تكون عصت الله ورسوله، والله يقول: «ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا».

وجوب تلقي أوامر الله ورسوله بالسمع والطاعة:

وهكذا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يتلقون الوحي عن الله بالسمع والطاعة، وفورية الاستجابة.

وهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء، فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد هاهنا، ولا رأي ولا قول، كما قال تعالى: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (النساء: ٦٥). ولهذا شدد في خلاف ذلك، فقال: «ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا (٣٦)».

كقوله تعالى: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (النور: ٦٣). (تفسير القرآن العظيم: ٣/٤٩٠)

من حكم زواج زينب من زيد:

وكان من الحكم التي قضى الله من أجلها زواج زينب من زيد أن الله تعالى أراد إبطال ما كان شائعا عند العرب من تحريم نكاح الرجل امرأة ابنه المدعى، بعد ما أبطل عادة التبني، كما سبق في أول السورة، ولم يكن ذلك ليمضي بالسهولة التي مضى بها إبطال التبني ذاته، فالتقاليد الاجتماعية أعمق أثرا في النفوس، ولا بد من سوابق عملية مضادة، ولا بد أن تستقبل هذه السوابق أول أمرها بالاستنكار، وأن تكون شديدة الوقع على الكثيرين، لذلك قدر الله أن يحمل نبيه- صلى الله عليه وسلم- فيما يحمل من أعباء الرسالة- مؤنة إزالة آثار نظام التبني، فيتزوج من مطلقة متبناه زيد بن حارثة، ويواجه المجتمع بهذا العمل الذي لا يستطيع أحد أن يواجه المجتمع به، على الرغم من إبطال عادة التبني في ذاتها. وألهم الله تعالى نبيه- صلى الله عليه وسلم- أن زيدا سيطلق زينب، وأنه هو سيتزوجها، للحكمة التي قضى الله بها، وكانت العلاقة بين زيد وزينب قد اضطربت، وعادت توحي بأن حياتهما لن تستقيم طويلا، وجاء زيد مرة بعد مرة يشكو إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- اضطراب حياته مع زينب، وعدم استطاعته المضي معها.

وصية رسول الله- صلى الله عليه وسلم- زيدا بالصبر على زينب:

فلم يكن من رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إلا أن أشار عليه بما فيه مصلحته، وهو إمساك زوجه والصبر عليها، مع علمه بأن الحياة بينهما لن تدوم، وأنه سيطلقها، ثم يتزوجها رسول الله- صلى الله عليه وسلم-. وفي ذلك يقول الله تعالى: «وإذ تقول» أي: واذكر يا نبينا إذ تقول: «للذي أنعم الله عليه» بالإسلام، «وأنعمت عليه» بالتربية والإعتاق، وهو زيد بن حارثة، «أمسك عليك زوجك» يعني زينب بنت جحش، «واتق الله» فيها ولا تفارقها.

ما الذي أخفاه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في نفسه؟

«وتخفي في نفسك ما الله مبديه» وهو زواجك منها بعد طلاقها، كما قال علي بن الحسين رحمه الله: كان الله تعالى قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيدا سيطلقها، فلما جاء زيد وقال: إني أريد أن أطلقها قال له: أمسك عليك زوجك، فعاتبه الله وقال: لم قلت أمسك عليك زوجك، وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك؟

وعلى هذا التأويل المحققون من أهل التفسير، وهو الأولى والأليق بحال الأنبياء، وهو مطابق للتلاوة، لأن الله أعلم

Upload by : altawhedmag.com

أنه يبدي ويظهر ما أخفاه.ولم يظهر غير تزويجها منه، كما قال: «زوجناكها». فلو كان الذي أضمره رسول الله-صلى الله عليه وسلم- محبتها أو إرادة طلاقها لكان يظهر ذلك، لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره.

قال ابن العربي رحمه الله: فإن قيل: فلأي معنى قال له النبي-صلى الله عليه وسلم-: «أمسك عليك زوجك»، وقد أخبره الله أنها زوجته لا زوج زيد؟

قلنا: إنه أراد أن يختبر منه ما لم يعلمه الله به من رغبته فيها أو رغبته عنها، فأبدى له زيد من النفرة عنها والكراهية فيها ما لم يكن علمه منه في أمرها.

فإن قيل: فكيف يأمره بالتمسك بها، وقد علم أن الفراق لا بد منه، وهذا تناقض؟

قلنا: بل هو صحيح للمقاصد الصحيحة لإقامة الحجة، ومعرفة العاقبة، ألا ترى أن الله يأمر العبد بالإيمان، وقد علم أنه لا يؤمن، فليس في مخالفة متعلق الأمر لمتعلق العلم ما يمنع من الأمر به عقلا وحكما. (أحكام القرآن لابن العربي ١٥٤٤/٣).

وجملة «وتخشى الناس» عطف على جملة «وتخفي في نفسك»: أي: تخفي ما سيبديه الله، وتخشى الناس من إبدائه، والخشية هنا كراهية ما يرجف به المنافقون، ليست خشية خوف، إذ النبي-صلى الله عليه وسلم- لم يكن يخاف أحدا من ظهور تزوجه بزينب، ولم تكن قد ظهرت أراجيف المنافقين بعد، ولكن النبي-صلى الله عليه وسلم- كان يتوسم من خبثهم وسوء طويتهم ما يبعثهم على القالة في الناس لفتنة الأمة، فكان يعلم ما سيقولونه ويمتعض منه، كما كان منهم في قضية الإفك، ولم تكن خشية تبلغ به مبلغ صرفه عما يرغبه، بدليل أنه لم يتردد في تزوج زينب بعد طلاق زيد، ولكنها استشعار في النفس، وتقدير لما سيرجفه المنافقون.

والتعريف في «الناس» للعهد، أي تخشى المنافقين أن يؤذوك بأقوالهم. وجملة «والله أحق أن تخشاه» معترضة لمناسبة جريان ذكر خشية الناس، والواو اعتراضية، وليست واو الحال. فمعنى الآية معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ﴾ (المائدة ٤٤). و«أحق» اسم تفضيل مسلوب المفاضلة، فهو بمعنى حقيق، إذ ليس في الكلام السابق ما يفيد وقوع إيثار خشية الناس على خشية الله، ولا ما يفيد تعارضا بين الخشيتين حتى يحتاج إلى ترجيح خشية الله على خشية الناس، والمعنى: والله حقيق بأن تخشاه. وليس في هذا التركيب ما يفيد أنه قدم خشية الناس على خشية الله، لأن الله لم يكلفه شيئا فعمل بخلافه، وإنما كان الله تعالى أعلمه بأنه سيتزوج زينب، وأن زيدا سيطلقها، وذلك سر بينه وبين ربه، ليس مما يجب عليه تبليغه، ولا مما للناس فائدة في علمه حتى يبلغوه، ألا ترى أنه لم يعلم عائشة ولا أباها برؤيا إتيان الملك بها في سرقة-قطعة- من حرير إلا بعد أن تزوجها. (التحرير والتنوير(٢٢/٣٢-٣٤)، باختصار وتصرف).

فرسول الله-صلى الله عليه وسلم- لم يخف شيئا أمر بإظهاره، ولا كتم شيئا أمر بتبليغه، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (الأحزاب)، قال ابن كثير رحمه الله: وسيد الناس في هذا المقام محمد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب، إلى جميع أنواع بني آدم، وأظهر الله كلمته ودينه وشرعه على جميع الأديان والشرائع، فإنه قد كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وأما هو-صلى الله عليه وسلم- فإنه بعث إلى جميع الخلق عربهم وعجمهم، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف ١٥٨). (تفسير القرآن العظيم ٤٩٢/٣).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

ظهور البدع وأثرها السيئ على الأمة

د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد: فما زلنا مع ظهور البدع وأضرارها وآثارها السيئة على الأمة الإسلامية.

آثار انتشار البدع:

انتشار البدع له آثار عامة وآثار خاصة.

فمن الآثار العامة في انتشار البدع: زوال السنن وخفاؤها، وكثرة الخلاف والشقاق بين أفراد الأمة، وازدراء السنن وتنقيصها، والغاء حكم الشرع وتحكيم العقل، وتشويه معالم الدين.

هذه هي الآثار العامة التي كانت وراء انتشار البدع.

أما الآثار الخاصة-وهي أيضًا تأتي على صاحب البدعة وتضره-: أنَّ عَمَل المبتدع مردودٌ، وأن التوبة تُحجب عنه، وأنه لا يرد حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه يدخل في عداد القائلين على الله بغير علم.

أضرار البدع:

أضرار البدع إجمالًا:

البدعة لا يُقبل معها عبادة من صلاةٍ ولا صيامٍ ولا صدقةٍ ولا غيرها من القُربات، فالذي يجالس صاحب البدعة ينزع الله عز وجل منه العصمة، والماشي

Upload by : altawhedmag.com

إليه-أي: إلى صاحب البدعة- ومُوقره مُعينٌ على هدم الإسلام، فما الظن بصاحب البدعة؟! فهي تجلب لعنة رب العالمين سبحانه وتعالى وتزيد العبد من ربه بُعدًا، وهي مظنة إلقاء العداوة والبغضاء بين الناس، وتمنع من الشفاعة المحمدية، كما أنها ترفع السنن التي تقابلها؛ فما ظهرت بدعة إلا وأزالت مكانها سنة كانت قائمة، والمبتدع عليه إثم مَن عمل ببدعته، ويُبعد عن حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أضرار البدع تفصيلًا:

- الضرر الأول:

ادعاء حق التشريع للبشر، واتخاذهم أربابًا من دون الله-تبارك وتعالى- قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣١)، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾ (النحل: ١١٦)، وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الشورى: ٢١)، فمن قبل تشريعًا غير تشريع الله فقد أشرك بالله-تبارك وتعالى-، وما لم يشرعه الله ورسوله من العبادات فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد».

- الضرر الثاني:

الطعن في الدين، بالاعتقاد أن التشريع جاء ناقصًا، وأنه تُكمله هذه البدعة، والله عز وجل قد أتم لنا الدين، وأكمل علينا نعمته، قال تعالى: ﴿ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة: ٣).

- الضرر الثالث:

التعبد لله بما لم يشرع؛ فيقوم إبليس بالتلبيس على الناس، بحيث يعتقد الناس في الدين ما ليس من الدين، وذلك مثل الذي يَحْدُثُ في المساجد وغيرها من إدخال البدع فيها، حتى إن البعض يترك السنة فلا يلومه أحد، ويأتي بالبدعة فيتبعه كثير من الناس على بدعته، وكون الإنسان يلتبس عنده الحق بالباطل حتى يتعبد لله بما لم يشرعه الله، يكون بذلك قد وقع في خطر عظيم.

- الضرر الرابع:

أن صاحب البدعة محروم من ثواب العمل الذي يعمله، وقد سبق أن ذكرنا حديث عائشة رضي الله عنها: «مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو رد».

- الضرر الخامس:

صاحب البدعة يحرم من الوُرود على حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، ويدعو عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يُذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم هَلُمَّ، فيقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك؛ فأقول: فسحقًا فسحقًا فسحقًا».

- الضرر السادس:

صاحب البدعة ملعون؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَن أحدث فيها أو آوى محدثًا؛ فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين».

- الضرر السابع:

صاحب البدعة عليه إثم مَن قلَّده وعمل بالبدعة التي يعمل بها؛ لقوله تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوا

Upload by : altawhedmag.com

أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ» (النحل: ٢٥). وقال صلى الله عليه وسلم: «ومن دعا إلى ضلالة كان عليه إثم من اتبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا».

بيان المذهب الصحيح في العقيدة:

المذهب الصحيح في العقيدة هو ما ذهب إليه السلف الصالح وتمسكوا به، وهو عقيدتنا- بحمد الله تبارك وتعالى وفضله- ونحن نحمد الله عز وجل على نعمة التوحيد الخالص، وعلى سلوكنا منهج أهل السنة والجماعة. وتقريرُ مذهب السلف في ذلك: هو إيماننا الصادق والخالص بوحدانية الله- تبارك وتعالى- في مُلكه، وقد عز ربنا سبحانه وتعالى وكمُل سلطانه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (الشورى: ١١)، «ولَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ» (الإخلاص: ٤).

ونسمي ربنا سبحانه وتعالى بما سمَّى به نفسه، وننسب إليه ما نسبه لنفسه، ونصفه بما وصف به نفسه دون تأويل أو تعطيل أو تمثيل، وهذا هو معتقد السلف الصالح في ذلك، وأنه سبحانه وتعالى فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، رب كل شيء ومليكه، لا إله إلا هو ولا رب غيره، وأنه- جل وعلا- موصوف بكل الكمال، منزَّهٌ عن كل نقصان، جل جلال ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدًا.

ومن ثم: فكل ما ورد في كتاب الله نؤمن بما أثبت الله لنفسه فيه، وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات، وننفي ما نفاه عن نفسه ونفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من كل عيب أو نقص إجمالًا وتفصيلًا، ونؤمن به كما ورد؛ لا دخل للعقل في مـراده؛ لأننا لا نعرف كيفية رب العالمين سبحانه، ولا يوجد للعقل مجال في مثل ذلك؛ بل يجب علينا أن نقف عند حدود النصوص الواردة.

وهناك الكثير والكثير من الآيـات القرآنية وكذلك من الأحاديث الصحيحة التي فيها إثبات لصفات رب العزة والجلال سبحانه، ومن ذلك مثلًا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن»، وكقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ينزل ربنا-تبارك وتعالى- كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل».

ولم يثبت بحال أن صحابيًا واحدًا تأول صفة من صفات الله-تبارك وتعالى- أو ردَّها، أو قال فيها: إن ظاهرها غير مراد؛ بل كانوا يؤمنون بمدلول الصفات ويحملونها على ظاهرها، وهم يعلمون بلا شك أن صفات الله- تبارك وتعالى- ليست كصفات المحدثين من خلقه؛ لأنه سبحانه وتعالى لا سميَّ له، ولا ند له، ولا كفء له- جل في علاه-.

وبالتالي وجب علينا أن نثبت الكمال المطلق لله عز وجل والجلال، والعلو، والأسماء الحسنى؛ أما ذاته سبحانه فهي محجوبة عنا لا نعلمها، ولا نعلم حقيقتها، ولا نعرف كيفيتها؛ لأننا لا نعرف كيف رب العالمين سبحانه، ولا كيف ذاته، كما يجب علينا إفراد الله بجميع أنواع العبادة وصرفها له وحده دون سواه.

وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين

Upload by : altawhedmag.com

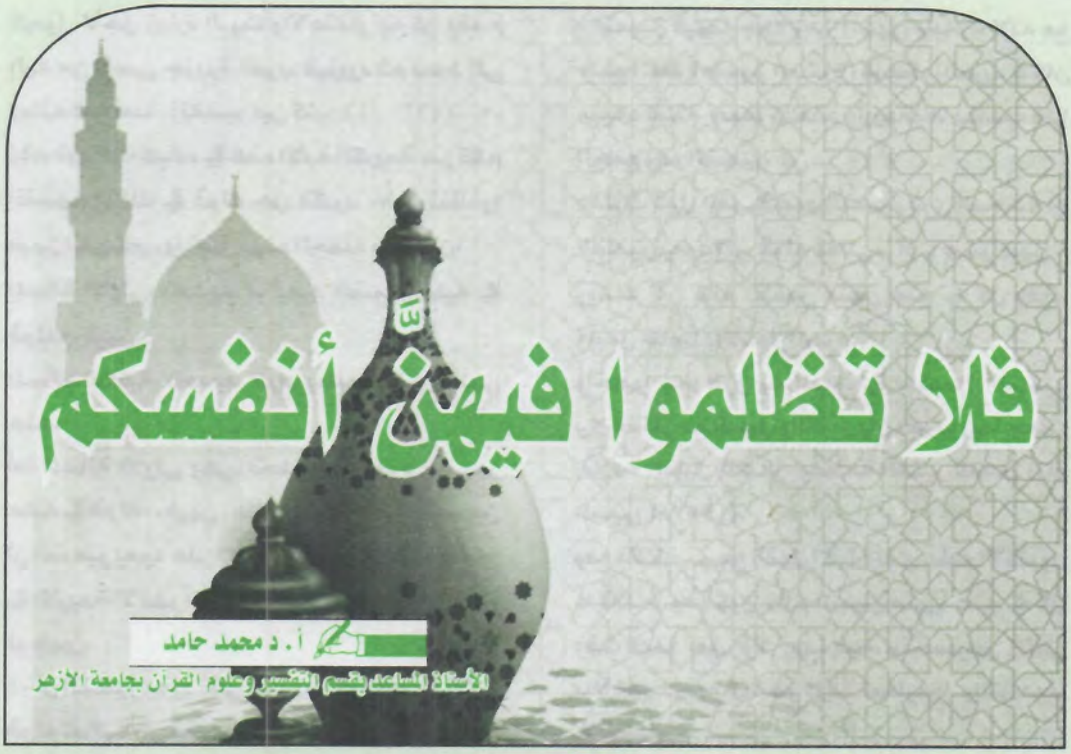

فلا تظلموا فيهنَّ أنفسكم

أ. د محمد حامد
الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

أما بعد: فقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة: ٣٦). وهذا إخبار منه سبحانه أنه قد اختص من بين شهور السنة أربعة أشهر، عظمها وجعلها حرامًا، وهي شهر الله المحرم، وشهر رجب، وشهر ذي القعدة، وشهر ذي الحجة.

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان». (أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠٢٥)، ومسلم في صحيحه (١٦٧٩)).

وقيل لشهر رجب: "رجب مضر؛ لأن ربيعة بن نزار كانوا يحرمون شهر رمضان ويسمونه رجبًا. وكانت مضر تحرم رجبًا نفسه، فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه: «الذي بين جمادى وشعبان»، ورفع ما وقع في اسمه من الاختلال بالبيان» (تفسير القرطبي ٨/ ١٣٣).

«وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة ثلاثة سرد وواحد فرد، لأجل أداء مناسك الحج والعمرة؛ فحرم قبل أشهر الحج شهرًا وهو ذو القعدة؛ لأنهم يقعدون فيه عن القتال وحرم شهر ذي الحجة؛ لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون فيه بأداء المناسك، وحرَّم بعده شهرًا آخر وهو المحرم ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين، وحرم رجب في وسط

Upload by : altawhedmag.com

الحول لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمنًا» (تفسير ابن كثير (٤/ ١٣٠)).

وقد نهى الله عباده في هذه الآية الكريمة عن ظلم أنفسهم وذلك في قوله جل ذكره: «فلا تظلمُوا فيهنَّ أنفسكم». ويتعلق بهذه الجملة مسألتان:

المسألة الأولى: تحديد ما يعود الضمير عليه في قوله: «فيهنَّ».

المسألة الثانية: تحديد المراد بظلم النفس المنهي عنه.

أما المسألة الأولى وهي: تحديد ما يعود الضمير عليه في قوله: «فيهن» فالذي عليه أكثر المفسرين أن الضمير يعود على الأشهر الحرم: أي: لا تظلموا في الأربعة الأشهر أنفسكم.

لوجهين:

١- أن الضمير يعود على أقرب مذكور وهو في الآية قوله تعالى: «أربعة حرم».

٢- أن مجيء الضمير «هن» يناسب جمع القلة وهو العدد «أربعة»، وأما جمع الكثرة «اثنا عشر»: فالضمير المستعمل معه الهاء: ولذا قال سبحانه: «منها أربعةٌ حُرُم».

"وذلك أن العرب يقولون لما بين الثلاثة إلى العشرة: هن وهؤلاء فإذا جاوزوا العشرة قالوا: هي وهذه" (تفسير القرطبي (٨/ ١٣٥)).

«وذكر الفراءُ لهذه القاعدة سرًا لطيفًا وهو أنَّ المميَّز مع جمع الكثرة هو ما زاد على العشرة لمَّا كان واحدًا وُحِّد الضمير، ومع القلة وهو العشرة فما دونها لمَّا كان جمعًا جُمِع الضمير» (البرهان في علوم القرآن للزركشي (٤/ ٢٣)، والإتقان في علوم القرآن (٢/ ٣٤٢)).

وتوضيح هذا الكلام أننا نقول مثلا: اثنا عشر شهرًا، وخمس عشرة ليلة فالتمييز وهو كلمة (شهرًا)، و(ليلة) مفرد، وهذا مع جمع الكثرة (عدد زاد عن العشرة)، ونقول: أربعة أشهر، وستة أيام والتمييز فيهما جمع وهو (أشهر، وأيام): لأنه مع جمع القلة (ما دون العشرة) فأعطى العرب لما كان مميزه لقلته جمعًا كالعدد «أربعة» ما يناسب هذا الجمع وهو الضمير «هن».

وهناك قول آخر في عود الضمير يرى أصحابه أن الضمير يعود إلى قوله تعالى: «اثنا عشر شهرًا»: وذلك لأن ظلم النفس منهي عنه في كل وقت، وليس خاصًا بالأشهر الحرم.

وأجابوا عما فرق به العرب في استعمال الضمير بين ما كان مع القليل والكثير بأن العرب ربما جعلت علامة القليل للكثير، وعلامة الكثير للقليل (زاد المسير (٢/ ٢٥٧)).

ومع ذلك فيترجح القول الأول الذي عليه الأكثرون لما تقدم، وأما كون ظلم النفس منهيًا عنه في كل وقت فهذا حق، ولا ريب فيه، وتخصيص النهي بالأشهر الحرم إنما هو لمزيد تعظيمها، والتشديد في أمرها.

وهذا له نظائر كثيرة في القرآن الكريم، ألا ترى أن ظلم النفس حرام في كل مكان لكنه في البلد الحرام أشد حرمة.

و"الله سبحانه إذا عظَّم شيئًا من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة، وإذا عظمه من جهتين أو جهات صارت حرمته متعددة فيضاعف فيه العقاب بالعمل السيئ كما يضاعف الثواب بالعمل الصالح. فإن من أطاع الله في الشهر الحرام في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام. ومن أطاعه في الشهر الحلال في البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه في شهر حلال في بلد حلال. وقد أشار تعالى إلى هذا بقوله تعالى: "يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ" (الأحزاب: ٣٠)

وخص الله تعالى الأربعة الأشهر الحرم بالذكر، ونهى عن الظلم فيها تشريفًا لها وإن كان منهيًا عنه في كل الزمان. كما قال: "فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ

Upload by : altawhedmag.com

وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ " (البقرة: ١٩٧)، على هذا أكثر أهل التأويل" (ينظر: تفسير القرطبي (١٣٤-١٣٥)).

وقد ذكر ابن الجوزي في «زاد المسير في علم التفسير» (٢/ ٢٥٧)؛ أن «السرُّ في أن الله تعالى عظَّم بعض الشهور على بعض، ليكون الكفُّ عن الهوى فيها ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها تدريجاً للنفس إلى فراق مألوفها المكروه شرعًا... وأن شأن المعاصي يعظُم فيها أشدَّ من تعظيمه في غيرها، وذلك لفضلها على ما سواها، كقوله تعالى: «مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ» (سورة البقرة:٩٨)، وإن كانا قد دخلا في جملة الملائكة، وقوله: «فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ» (الرحمن: ٦٨)، وإن كانا قد دخلا في جملة الفاكهة، وقوله تعالى: «فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ» (البقرة: ١٩٧)، وإن كان منهيًا عنه في غير الحج. وكما أمر بالمحافظة على الصلاة الوسطى وإن كان مأمورًا بالمحافظة على غيرها، هذا قول الأكثرين".

وأما المسألة الثانية وهي: تحديد المراد بظلم النفس المنهي عنه.

الذي عليه أكثر المفسرين أن المراد بظلم النفس في الآية الكريمة: ارتكاب المعاصي: فإن المعصية ظلم للنفس، وانتقاص لها، ومن ظلم نفسه فقد منعها حقها الذي أوجب الله تعالى عليه لها من إتيان ما أمر الله تعالى به، واجتناب ما نهى سبحانه عنه.

والنهي عن المعصية -كما تقدم- ليس خاصًا بهذه الأشهر الحرم؛ وإنما خصت بالذكر "لأنها آكد وأبلغ في الإثم من غيرها كما أن المعاصي في البلد الحرام تضاعف لقوله تعالى: «وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» (الحج: ٢٥)، وكذلك الشهر الحرام تغلظ فيه الآثام» (تفسير ابن كثير(٤/ ١٣٠)).

وهناك أقوال أخرى في المراد بالنهي عن ظلم النفس فمن ذلك:

أن المعنى: لا تجعلوا حرام الشهور حلالاً، ولا حلالها حرامًا، وهذا على قول لمن جعل الضمير في «فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ» (التوبة:٣٦) عائدًا على الشهور كلها.

وقيل: إن المراد بالظلم فيهنَّ فعل النسيء، وهو تحليل شهر محرَّم، وتحريم شهر حلال.

وقيل: المراد بالظلم البداية بالقتال في الأشهر الحرم، فيكون المعنى: فلا تظلموا أنفسكم بالقتال فيهن إلا أن تُبدؤوا بالقتال.

وأكثر العلماء وجمهورهم على أن حرمة المقاتلة فيهن منسوخة وأن الظلم مؤول بارتكاب المعاصي، وتخصيصها بالنهي عن ارتكاب ذلك فيها مع أن الارتكاب منهي عنه مطلقًا لتعظيمها. ولله سبحانه أن يُميِّز الأوقات على بعض، ويؤيد القول بالنسخ أنه عليه الصلاة والسلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة سنة ثمان.

وذكر الحافظ ابن كثير أنه يحتمل أن يكون قد أذن للمؤمنين بقتال المشركين في الشهر الحرام إذا كانت البداءة منهم كما قال تعالى: «ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ» (البقرة: ١٩٤)، وقال تعالى: «وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ» (البقرة: ١٩١) الآية.

وهكذا الجواب عن حصار رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الطائف واستصحابه الحصار إلى أن دخل الشهر الحرام فإنه من تتمة قتال هوازن وأحلافها من ثقيف؛ فإنهم هم الذين ابتدأوا القتال، وجمعوا الرجال، ودعوا إلى

Upload by : altawhedmag.com

الحرب والنزال، فعندها قصدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم؛ فلما تحصنوا بالطائف ذهب إليهم لينزلهم من حصونهم فنالوا من المسلمين وقتلوا جماعة، واستمر الحصار بالمجانيق وغيرها قريبًا من أربعين يومًا، وكان ابتداؤه في شهر حلال ودخل الشهر الحرام فاستمر فيه أيامًا ثم قفل عنهم لأنه يُغتفر في الدوام ما لا يُغتفر في الابتداء» (ينظر: تفسير القرطبي(٨/ ١٣٥)، وتفسير ابن كثير (٤/ ١٣٢)، وروح المعاني للألوسي(٥/ ٢٨٣)).

ويبقى أن أرجح ما يُفسر به النهي عن ظلم النفس في الآية الكريمة أنه النهي عن ارتكاب الذنوب والمعاصي، وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أن ترك الواجبات أو فعل المعاصي من ظلم النفس قال تعالى: «وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» (البقرة: ٢٣١)، وقال تعالى: «وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» (الطلاق: ١).

أيها الفاضل الكريم: ها هي أيام شهر رجب قد أظلتنا فبادر فيها بالتوبة إلى العزيز الغفار، وأكثر فيها من الاستغفار، واجتنب المعصية فإن وقعت فيها فاحذر من الإصرار

قال تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ» (آل عمران: ١٣٥). وقال تعالى: «وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا» (النساء: ١١٠).

واعلم - غفر الله لي ولك- أنه لما كان الإنسان لا يسلم من ظلم لنفسه في بعض الأحوال فقد أقرَّ أعلى الناس قدرًا، وأعظمهم منزلة، وأجلُّهم مقامًا على أنفسهم بظلمها فما الظن بمن دونهم؟!

ولذا قال موسى عليه السلام كما قص الله عنه في القرآن الكريم: «قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (القصص: ١٦).

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ «كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ: وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ..." (صحيح مسلم» (٢/ ١٨٥ حديث٧٧١)).

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: علمني الدعاء أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي. قَالَ: (قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) (صحيح البخاري» (١/ ٢٨٧ حديث٧٩٩، ومسلم ٢٧٠٥)).

ويعينك أخي الكريم على اعترافك بظلم النفس أمران

أحدهما: استحضارك لنعم الله السابغة التي تغمرك ليلاً ونهارًا، سرًا وجهارًا من رأسك إلى أخمص قدميك.

والآخر: رؤيتك لتقصيرك، وتفريطك في جنب الله تعالى، ومنهما يتولد الحياء من الله تعالى.

وهذا تجده في سيد الاستغفار حين تقول: "أبوء لك بنعمتك عليَّ، وأبوء بذنبي"؛ أي: أعترف بهما.

اللهم اغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

بـــاب
أسئلة القراء عن الأحاديث

إعداد الشيخ/ أبي إسحاق الحويني
رحمه الله

يسأل القارئ: ابراهيم السيد إمام - الاسماعيلية: هل صحيح ما ذكره الحافظ جلال الدين السيوطي في كتاب الحاوي أن حديث: «أبي وأبوك في النار» من جملة الأحاديث الضعيفة برغم أن مسلما رواه في صحيحه؟ نريد جوابا شافيا. وهل توافقون في هذا التضعيف؟

والجواب بحول الملك الوهاب: نعم، فقد أورد السيوطي في مسالك الحنفا في والدي المصطفى (٢/٤٣٢- ٤٣) سؤالاً في مسألة إيمان والدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «فإن قلت: بقيت عقدةٌ واحدة وهي ما رواه مسلم عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: «في النار»، فلما قفى دعاه، فقال: «إن أبي وأباك في النار». وحديث مسلم وأبي داود عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم استأذن في الاستغفار لأمه فلم يُؤذن له، فاحلل هذه العقدة. قُلتُ: على الرأس والعين، والجواب: أن هذه اللفظة، وهي قوله: «إن أبي وأباك في النار» لم يتفق على ذكرها الرواة، وانما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت، عن أنس، وهي الطريق التي رواه مسلم منها، وقد خالفه معمر عن ثابت، فلم يذكر: «إن أبي وأباك في النار»، ولكن قال: «إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار»، وهذا اللفظ لا دلالة فيه على والده صلى الله عليه وسلم بأمر البتة، وهو أثبت من حيث الرواية، فإن معمرًا أثبت من حماد، فإن حمادًا تكلم في حفظه ووقع في أحاديثه مناكير ذكروا أن ربيبه دسّها في كتبه، وكان حمادٌ لا يحفظ فحدّث بها فوهم، ومن ثمّ لم يخرج له البخاري شيئًا، ولا خرّج له مسلم في الأصول إلا من حديثه عن ثابت، وأما معمر فلم يتكلم في حفظه، ولا استنكر شيءٌ من حديثه، واتفق الشيخان على التخريج له، فكان لفظه أثبت، ثم ذكر السيوطي شاهدًا لحديث معمر من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وقد ألّف السيوطي في هذه المسألة مؤلفات سبعة، وهو يكرر في كل جزء ما يكون مذكورًا في جزء آخر، وقلما يأتي بزيادة نافعة، بل التكلف هو السمة الظاهرة فيها، بحيث يقلب المرء كفيه عجبًا من ضياع المنهج العلمي الرصين في سائرها، وقد وقع السيوطي في سائرها في تكلف مدهش، حتى وصل به الحال أن خالف قانون العلم في مسائل يطول الأمر بذكرها، ومنها هذه المسألة التي يسأل عنها القارئ، وسأجعل المسألة آية يقيس عليها القارئ ما غاب عنه من جواب السيوطي رحمه الله...

والجوابُ من وجوه:

الأول: أن السيوطي ضعّف حديث مسلم، وبنى تضعيفه على مقدمة وهي أن معمر بن راشد خالف حماد بن سلمة في لفظه، ومعمر بن راشد أوثق من

Upload by : altawhedmag.com

حماد بن سلمة، وهذه المقارنة حيدة مكشوفة، فإن الأمر لا يخفى على أحد من المشتغلين بالحديث، ومنهم السيوطي نفسه، فإن أهل العلم بالحديث قالوا: أثبت الناس في ثابت البناني هو حماد بن سلمة، ومهما خالفه من أحد فالقول قول حماد، فقال أبو حاتم الرازي - كما في العلل (٢١٨٥)-: «حماد بن سلمة أثبت الناس في ثابت وفي علي بن زيد». وقال أحمد بن حنبل: «حماد بن سلمة أثبت في ثابت من معمر». وقال يحيى بن معين: «من خالف حماد بن سلمة فالقول قول حماد. قيل: فسليمان بن المغيرة عن ثابت؟ قال: سليمان ثبت، وحماد أعلم الناس بثابت».

وقال ابن معين مرة: «أثبت الناس في ثابت حماد بن سلمة». وقال العقيلي في «الضعفاء» (٢/٢٩١): «أصح الناس حديثًا عن ثابت: حماد بن سلمة». وقد أكثر مسلم في التخريج لحماد بن سلمة عن ثابت في الأصول، أما معمر بن راشد فإنه وإن كان ثقة في نفسه إلا أن أهل العلم بالحديث كانوا يضعفون روايته عن ثابت البناني ولم يخرج له مسلم شيئًا في صحيحه عن ثابت إلا حديثًا واحدًا في المتابعات، ومقرونًا بعاصم الأحول، وهذا يدلك على مدى ضعف رواية معمر عن ثابت، ولذلك قال ابن معين: «معمر عن ثابت: ضعيف». وقال مرة: «وحديث معمر عن ثابت، وعاصم بن أبي النجود، وهشام بن عروة وهذا الضرب مضطرب كثير الأوهام». وقال العقيلي في الضعفاء (٢/٢٩١): «أنكر الناس حديثًا عن ثابت: معمر بن راشد».

وبعد هذا البيان فما هي قيمة المفاضلة التي عقدها السيوطي بين الرجلين، فالصواب: رواية حماد بن سلمة، ورواية معمر بن راشد منكرة.

الثاني: قول السيوطي: إن ربيب حماد بن سلمة دسّ في كتبه أحاديث مناكير وانطلى أمرها على حماد لسوء حفظه، وهذه تهمة فاجرة، كما قال الشيخ المعلمي رحمه الله في «التنكيل» (١/٢٤٣)، ومستند كل من تكلم بهذه التهمة ما ذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/٥٩٣) من طريق الدولابي قال: حدثنا محمد بن شجاع بن الثلجي، حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدي، قال: كان حماد بن سلمة لا يعرف بهذه الأحاديث - يعني أحاديث الصفات - حتى خرج مرة إلى عبادان، فجاء وهو يرويها، فلا أحسب إلا شيطانًا خرج إليه من البحر فألقاها إليه، قال الثلجي: فسمعت عباد بن صهيب يقول: إن حمادًا كان لا يحفظ، وكانوا يقولون إنها دست في كتبه، وقد قيل: إن ابن أبي العوجاء كان ربيبه فكان يدس في كتبه، وعلق الذهبي على هذه الحكاية بقوله: «ابن الثلجي ليس بمصدق على حماد وأمثاله، وقد اتهم، نسأل الله السلامة». انتهى.

وابن الثلجي هذا كان جهميًا عدوًا للسنة.

الوجه الثالث: قوله: «ولم يخرج له البخاري شيئًا». وقد تقرر عند أهل العلم أن ترك البخاري التخريج لراوٍ لا يعني أنه ضعيف، وقد عاب ابن حبان على البخاري أنه ترك حماد بن سلمة وخرّج لمن هو أدنى منه حفظًا وفضلاً، فقال: «ولم ينصف من جانب حديث حماد بن سلمة، واحتج بأبي بكر بن عياش، وبابن أخي الزهري، وبعبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، فإن كان تركه إياه لما كان يخطئ، فغيره من أقرانه مثل الثوري وشعبة وذويهما كانوا يخطئون، فإن زعم أن خطأه قد كثر من تغير حفظه، فقد كان ذلك في أبي بكر بن عياش موجودًا، وأنى يبلغ أبو بكر حماد بن سلمة في إتقانه، أم في جمعه؟ أم في عمله؟ أم في ضبطه». انتهى.

وختامًا فوالله لو صحت الأحاديث في إسلام والدي النبي صلى الله عليه وسلم لكنا أسعد الناس بها، كيف وهم أقرب الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو أحب إليّ من نفسي، والله على ما أقول وكيل.

ولكننا لا نتبنى قولاً ليس عليه دليل صحيح، لكن كثيرًا من الناس من يتخطى المحبة الشرعية، ويخالف الحجة ويحاربها، والله المستعان لا ربّ سواه، وهو أعلى وأعلم.

Upload by : altawhedmag.com

بركة النبي صلى الله عليه وسلم

د. جمال المراكبي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

أما بعد: فقد روى مسلم في صحيحه قال: حدثنا أبو بكر بن النضر بن أبي النضر. حدثني أبو النضر هاشم بن القاسم. حدثنا عبيد الله الأشجعي، عن مالك بن مغول، عن طلحة بن مصرف، عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير. فنفدت أزواد القوم.

قال: حتى همّ بنحر بعض حمائلهم. فقال عمر: يا رسول الله لو جمعتَ ما بقي من أزواد القوم، فدعوت الله عليها.

قال: ففعل.

فجاء ذو البُرّ ببُرّه. وذو التمر بتمره. قال: وقال مجاهد: وذو النواة بنواه. قلت: وما كانوا يصنعون بالنوى؟ قال: كانوا يمصونه ويشربون عليه الماء.

قال فدعا عليها. حتى ملأ القوم أزودتهم. فقال عند ذلك: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله.

لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ، غير شاكٍ فيهما، إلا دخل الجنة.

وقال: حدثنا سهل بن عمان وأبو كريب محمد بن العلاء، جميعًا عن أبي معاوية. قال أبو كريب: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد (شك الأعمش)

قال: لما كان غزوة تبوك، أصاب الناس مجاعة. قالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: افعلوا.

قال: فجاء عمر فقال: يا رسول الله إن فعلت قلّ الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة؛ لعل الله أن يجعل في ذلك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم.

قال: فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم، قال: فجعل الرجل يجيء بكفّ ذرة ويجيء الآخر بكف تمر، ويجيء الآخر بكسرة، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير.

قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه

Upload by : altawhedmag.com

بالبركة... ثم قال خذوا في أوعيتكم.

قال: فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملئوه. قال: فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍّ فيُحجب عن الجنة.

قال النووي في شرحه على مسلم: هذان الإسنادان مما استدركه الدار قطني على مسلم وعلله.

فأما الأول فعلله من جهة أن أبا أسامة وغيره خالفوا عبيد الله الأشجعي، فرووه عن مالك بن مغول عن طلحة عن أبي صالح مرسلًا. وأما الثاني فعلله لكونه اختُلف فيه عن الأعمش. فقيل فيه أيضًا عنه عن أبي صالح عن جابر وكان الأعمش يشك فيه.

قال ابن الصلاح: هذان الاستدراكان من الدار قطني مع أكثر استدراكاته على البخاري ومسلم قدح في أسانيدهما غير مخرج لمتون الأحاديث من حيّز الصحة.

وقد ذكر إبراهيم بن محمد الدمشقي الحافظ فيما أجاب الدار قطني عن استدراكاته على مسلم: أن الأشجعي ثقة مجود، فإذا جود ما قصر فيه غيره حكم له به، ومع ذلك فالحديث له أصل ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم برواية الأعمش له مسندًا، وبرواية يزيد بن أبي عبيد وإياس بن سلمة بن الأكوع عن سلمة.

قال الشيخ: رواه البخاري عن سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما شك الأعمش فهو غير قادح في متن الحديث؛ فإنه شك في عين الصحابي الراوي له، وذلك غير قادح لأن الصحابة كلهم عدول.

قال النووي: قلت: وهذان الاستدراكان لا يستقيم واحد منهما.

أما الأول: فلأنا قدمنا في الفصول السابقة أن الحديث الذي رواه بعض الثقات موصولًا وبعضهم مرسلًا، فالصحيح الذي قاله الفقهاء وأصحاب الأصول والمحققون من المحدثين أن الحكم لرواية الوصل سواء كان راويها أقل عددًا من رواية الإرسال، أو مساويًا لها لأنها زيادة ثقة. فهذا موجود هنا وهو كما قال الحافظ الدمشقي جود وحفظ ما قصر فيه غيره.

وأما الثاني: فلأنهم قالوا: إذا قال الراوي: حدثني فلان أو فلان وهما ثقتان احتج به بلا خلاف؛ لأن المقصود الرواية عن ثقة مسمى، وقد حصل.

وهذه قاعدة ذكرها الخطيب البغدادي في الكفاية، وذكرها غيره. وهذا في غير الصحابة ففي الصحابة أولى فإنهم كلهم عدول. فلا غرض في تعيين الراوي منهم. والله أعلم.

شرح معاني الحديث

قوله: (حتى همَّ بنحر بعض حمائلهم) رُوي بالحاء وبالجيم.

وقد نقل جماعة من الشراح الوجهين، لكن اختلفوا في الراجح منهما. قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح: وكلاهما صحيح: فهو بالحاء جمع حمولة بفتح الحاء، وهي الإبل التي تحمل. وبالجيم جمع جمالة بكسرها جمع جمل. ونظيره حجر وحجارة. والجمل هو الذكر دون الناقة.

وفي هذا الذي هم به النبي-صلى الله عليه وسلم- بيان لمراعاة المصالح وتقديم الأهم فالأهم وارتكاب أخف الضررين لدفع أضرهما.

(فقال عمر: يا رسول الله لو جمعت ما بقي من أزواد القوم):

هذا فيه بيان جواز عرض المفضول على الفاضل ما يراه مصلحة لينظر الفاضل فيه، فإن ظهرت له مصلحة فعله.

(بقي) بكسر القاف وفتحها والكسر لغة أكثر العرب.

وبها جاء القرآن الكريم-والفتح لغة طيئ-، والله أعلم.

(فجاء ذو البُرّ ببُرّه، وذو التمر بتمره. قال: وقال

Upload by : altawhedmag.com

مجاهد: وذو النواة بنواه).

أقول: إنما سقت الإسناد لأجل هذه الكلمة.. ومجاهد غير موجود في هذا الإسناد أصلًا.

والقائل قال: مجاهد هو طلحة بن مصرف.

وهذا يعني أنه روى الحديث من طريق مجاهد كما رواه من طريق أبي صالح، وأدخل كلمة مجاهد على حديث أبي صالح ونبّه على ذلك بقوله: وقال مجاهد. قال النووي: وفي هذا الحديث جواز خلط المسافرين أزوادهم وأكلهم منها مجتمعين، وإن كان بعضهم يأكل أكثر من بعض. وقد نص أصحابنا على أن ذلك سنة، والله أعلم.

(كانوا يمصونها) هو بفتح الميم هذه اللغة الفصيحة المشهورة. ويقال: مصصت الرمانة والتمرة وشبههما بكسر الصاد أمصها بفتح الميم. وحكى الزهري عن بعض العرب ضم الميم.

قوله: (حتى ملأ القوم أزودتهم): قال ابن الصلاح: الأزودة جمع زاد وهي لا تملأ إنما تملأ بها أوعيتها

قال: ووجهه عندي أن يكون المراد حتى ملأ القوم أوعية أزودتهم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة الظاهرة.

وما أكثر نظائره التي يزيد مجموعها على شرط التواتر، ويحصل به العلم القطعي، وقد جمعها العلماء وصنفوا فيها كتبا مشهورة. والله أعلم.

كانت غزوة تبوك في شهر رجب سنة تسع من الهجرة، بلغ المسلمين أن الروم جمعوا جموعًا لقتالهم، فندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى ملاقاتهم، وكان المسلمون في ضيق من العيش، فاستعدوا بقليل الزاد الذي يملكون، ورأى عثمان شدة المسلمين وعسرتهم، وكان قد جهز عيرًا إلى الشام فقال:

يا رسول الله، هذه مائة بعير بأقتابها وأحلاسها، ومائتا أوقية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم.

ومع هذه المعونة الكبرى خرج المسلمون في قلة من الظهر، والوقت صيف والحر شديد. حتى وصلوا إلى "تبوك"، وقد بلغ بهم الجهد، واشتد بهم العطش، ولم يسعفهم ماء عين تبوك الناضبة.

فطلب الرسول صلى الله عليه وسلم قليلًا من ماء عين تبوك، فغسل وجهه ويديه بشيء منه، ثم أعاده فيها، فجرت العين، فاستقى الناس، وانفرجت عسرة الماء، ولكن ما لبثوا بعد ذلك أن خفت أزوادهم. ونفد طعام أكثرهم، وأصابتهم مجاعة كبرى، ولجئوا إلى النوى بعد نفاد التمر يمصون النواة، ويشربون عليها الماء.

وهبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذنونه في ذبح ما تبقى لديهم من إبلهم التي ينضحون عليها الماء.

قالوا: يا رسول الله: لو أذنت لنا ذبحنا بعض نواضحنا. ولم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسًا فأذن لهم. ورأى عمر الناس يعقلون إبلهم لنحرها، فقال لهم: ما شأنكم؟ قالوا: استأذنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نحرها، فأذن لنا. فقال: وما بقاؤكم بعد إبلكم؟ أمسكوا حتى ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ودخل عمر فزعا على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله ما بقاء الناس بعد إبلهم؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم-وكأنه يقول: وماذا ينقذ الناس غير ذلك؟-. وتذكر عمر ما كان من جريان عين تبوك بعد نضوب، وهو يؤمن بالآيات ويطمع في رحمة الله لانقاذ المسلمين على يد نبيه، فقال: يا رسول الله، لو جمعت ما بقي من أزواد القوم وطعامهم، فدعوت الله عليها بالبركة لكان ذلك خيرًا.

وسكت الرسول صلى الله عليه وسلم للمرة الثانية، إنه لم يكن يغيب عنه ما أشار به عمر، بل كان يؤمن بأن الله لن يخيب رجاءه إذا رجاه، ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يقصد تعويد الأمة على الاعتماد على قوانين الحياة دون خوارق العادات.

Upload by : altawhedmag.com

أما وقد طلبت الآية فلا بد من الموافقة عليها والاستجابة لطالبها.

فقال: نعم يا عمر. ناد في الناس فليأتوا ببقايا أطعمتهم، ثم مد فراش الطعام ليلقوا عليه ما يجمعون.

فنادى عمر: فجعل الرجل يلقي بما يملأ الكف من الذرة، والآخر يلقي بما يملأ الكف من القمح، والآخر يلقي بما يملأ الكف من التمر، والآخر يلقي بالكسرة التي يملكها، حتى صاحب النوى ألقى بنواه، فاجتمع على النطع من ذلك كله شيء يسير.

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا وبرك عليه.

ثم قال: هاتوا أوعيتكم فخذوا فيها، فجاء كل بأوعيته فملأ، فما بقي في الجيش وعاء إلا ملئ، وفضلت فضلة كبيرة، وبقي على النطع قدر ما أخذ الناس.

فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، سرورًا بإكرام ربه له ولأمته، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، لا يموت عبد وهو يشهد هاتين الشهادتين، لا يشك فيهما إلا دخل الجنة، لا يحجبه عنها ولا يمنعه منها ما عمل من سوء.

كيف كان التكثير؟

يحتمل أنها كانت بإعادة أمثال ما يرفع أو بتضعيف المثال وزيادة الكمية دفعة واحدة، والأول أولى بالقبول حيث لم يتعرض الرواة لعظم الكمية، ولو صح الاحتمال الثاني لقالوا مثلا: فكثر اليسير حتى صار مثل الجبل. ويشهد لهذا الترجيح قوله في الرواية الثانية "وفضلت فضلة".

وقد جاء في الرواية الأولى أن الرسول صلى الله عليه وسلم همّ بنحر بعض حمائلهم، وفي الرواية الثانية أنهم استأذنوه في نحرها فأذن. وجمع بينهما باحتمال أنهم استأذنوه أولا فأذن ثم هم.

ولم يكن همه صلى الله عليه وسلم بوحي، وإلا لما حصل من عمر ما حصل. وإنما كان باجتهاد منه صلى الله عليه وسلم، مستندًا إلى مراعاة المصالح وتقديم الأهم فالأهم، واحتمال أخف الضررين.

ولم يكن قول عمر اعتراضًا منه على تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم، بل هو عرض لما ظهر له أنه مصلحة، ليرى الإمام فيه رأيه.

ويستفاد من الحديث:

١- حُسن خُلقه صلى الله عليه وسلم، وإجابته إلى ما يلتمس منه أصحابه وإجراؤهم على العادة البشرية.

٢- جواز المشورة مع الإمام بالمصلحة وإن لم يطلبها، وجواز عرْض المفضول على الفاضل ما يراه مصلحة.

٣- مَنْقبة ظاهرة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه دالة على قوة ثقته بإجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم.

٤- جواز خلط المسافرين أزوادهم، وأكلهم منها مجتمعين وإن كان بعضهم يأكل أكثر من بعض، وقد نص بعض الفقهاء على أن ذلك سنة.

وأصرح من هذا حديث الأشعريين: "إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني، وأنا منهم".

٥- حُسن الأدب في خطاب العظماء، فيقال: لو فعلت كذا أو أمرت بكذا، أو أذنت بكذا، فهذا أجمل من قولهم للكبير: افعل كذا بصيغة الأمر.

٦- أنه لا ينبغي للجيش أن يتصرفوا في دوابهم، ولا في أدواتهم التي يستعينون بها في القتال بغير إذن الإمام، ولا يأذن لهم إلا إذا رأى مصلحة، أو خاف مفسدة ظاهرة.

٧- فيه حجة لأهل السنة أن من مات على الشهادتين دخل الجنة، وأن اليقين المنافي للشك شرط في العلم بمعنى كلمة الإخلاص. (بتصرف من فتح المنعم بشرح صحيح مسلم).

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

وقفات مع حادثة الإسراء

إعداد الشيخ / ابراهيم حافظ رزق
فرع منشأة البكاري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإن حادث الإسراء والمعراج ثابت بالقرآن والسنة، لكن وقتهما ليس معلومًا على وجه الدقة، فلم يثبت في حديث صحيح أو أثر عن الصحابة أن ليلة الإسراء والمعراج كانت في شهر رجب أو أنها كانت في السابع والعشرين منه تحديدًا.

ولم يثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم قد احتفلوا بهذه الليلة، ولم يخصصوا لتلك الليلة لا قيام ليل ولا صيام نهار، وإنما ذلك مما أحدثه الناس بعد انتهاء القرون الثلاثة المفضلة.

وهذه الليلة هي ليلة خص الله بها نبيه محمدًا عليه الصلاة والسلام تثبيتًا لفؤاده وعوضًا عما لاقاه من قومه، وهو يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى.

والمتأمل يجد أن حادث الإسراء والمعراج قد وقع في منتصف عمر الدعوة الإسلامية حيث وقعت في منتصف العام الثاني عشر من بعثته عليه الصلاة والسلام وبعد وفاة عمه أبي طالب ووفاة زوجه خديجة رضي الله عنها.

والعجيب أن سورة الإسراء التي أشارت في بدايتها إلى تلك الحادثة تقع أيضًا في منتصف المصحف الشريف، والتي بدأها ربنا سبحانه بقوله تعالى: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» (الإسراء: ١).

و(سبحان) مصدر لا مثيل له في كلام العرب ومعناه: تنزيه الله عز وجل وتقديسه سبحانه وتعالى عن كل عيب أو نقص وإثبات كل الكمالات له سبحانه.

فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يقل: إنه أسرى بنفسه، ولكن الله سبحانه هو الذي أسرى به.

ومعنى الإسراء: الانتقال والتحرك ليلًا، لقد طلب مشركو مكة من النبي صلى الله عليه وسلم

Upload by : altawhedmag.com

مطالب لم يكن في مقدوره أن يحققها كبشر كما طلبوا منه الرقي في السماء: «أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ» (الإسراء: ٩٣)؛ فكان الجواب من الله: «قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا» (الإسراء: ٩٣).

وكان الله قادرًا على أن يحقق لرسوله صلى الله عليه وسلم هذا أمام أعين كفار قريش، ولكن الله لم يفعل ذلك، وانما انتقل برسوله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس ليلًا خفاء في خفاء لم يره أحد من الناس، ولكن الله سبحانه أخبر بذلك على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام؛ فلذلك بدأ الحديث عن تلك الحادثة بقوله تعالى: «سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا» (الإسراء: ١).

وقوله تعالى: «الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ»؛ فالبركة هنا بركة معنوية وبركة مادية، فالبركة المعنوية التي كانت حول بيت المقدس هي أن الله جعل الرسالة والنبوة منذ زمن الخليل إبراهيم عليه السلام في تلك المنطقة وحولها، وأما البركة المادية فهي ما جعله الله حول بيت المقدس من خيرات الثمار والزروع.

ولعل انتقال النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس وإمامته للأنبياء والمرسلين الذين سبقوه في الصلاة؛ كأن في ذلك إشارة إلى انتقال النبوة والرسالة من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، فقد أصبح بنو إسرائيل غير مؤهلين لحمل أمانة السماء بعد أن غيَّروا وبدَّلوا وحرَّفوا وكتموا، وكتبوا كتبًا بأيديهم وقالوا هذه من عند الله؛ فأصبحوا بذلك غير أمناء على حمل أمانة البلاغ عن الله فصرف الله عنهم النبوة والرسالة إلى بني إسماعيل الذين كان منهم نبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

فجاءت هذه الحادثة تثبيتًا لفؤاد النبي صلى الله عليه وسلم وتطييبًا لخاطره وتعويضًا له عن صبره الطويل طيلة السنوات التي سبقت تلك الحادثة، وهو يدعو قومه إلى الله قائلًا: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، قولوا لا إله إلا الله كلمة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم». (رواه أحمد والطبراني وابن حبان والبخاري في تاريخه).

ولكنهم صمّوا آذانهم، وأغلقوا قلوبهم وأبوابهم أمام دعوته صلى الله عليه وسلم فاضطروه هو ومن معه ممن أسلم من الصحابة الكرام أن يهاجروا إلى الحبشة وخرج هو صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يبحث عن أرض جديدة يغرس فيها نبت الدعوة الجديدة، ولكن أهل الطائف - ثقيف وهوازن- صنعوا كما صنع أهل مكة فأغلقوا قلوبهم وأبوابهم أمام النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكتفوا بذلك بل سلطوا عليه سفاءهم وغلمانهم فقذفوه بالحجارة، حتى أسالوا دمه الشريف؛ فرجع صلى الله عليه وسلم حزينًا كسير القلب ولم يفقد ثقته بنصر ربه سبحانه وتعالى وأنه جاعل لما هو فيه فرجًا ومخرجًا فجاءه جبريل ومعه ملك الجبال يقول: «إن ربك قد سمع مقالة قومك لك وإن أردت أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت». فقال صلى الله عليه وسلم: «لعل الله أن يُخرج من أصلابهم مَن يعبده». (رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها).

فكان ما تمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما هي إلا سنوات قلائل لا تُعدّ في حساب الزمن حتى دخلت ثقيف وهوازن في الإسلام بعد موقعة حنين والتي جاءت بعد فتح مكة في السنة الثامنة من الهجرة.

وقد أوردت كُتُب السُّنة أن الله سبحانه وتعالى صرف إلى نبيه حال رجوعه من الطائف نفرًا من الجن فاستمعوا له وهو يقرأ القرآن في وادي نخلة-بين مكة والطائف-، ثم رجعوا إلى قومهم منذرين، وقد أشار القرآن إلى استماع الجن إلى النبي في سورة الأحقاف في قوله تعالى: «وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ» (الأحقاف:

Upload by : altawhedmag.com

٢٩). وفي ذلك تطييب لخاطره صلى الله عليه وسلم؛ فإذا كان أهل الطائف قد صدوك وخذلوك فهاهم نفر الجن يصدقونك ويؤمنون بما جئت به.

فجاءت حادثة الإسراء بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الطائف، وهي حادثة عجيبة ليس لها في تاريخ البشرية مثيل؛ حيث أسرى الله بنبيه من مكة إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى سدرة المنتهى في جزء من الليل، وعاد صلى الله عليه وسلم في نفس الليلة. حتى قال أبو جهل حين أخبره الرسول أنه أُسري به من مكة إلى بيت المقدس مُكذِّبًا ومُستبعدًا: «نحن نضرب إليها أكباد الإبل شهرًا ذهابًا وشهرًا عودة وأنت تقول إنه أُسري بك إلى بيت المقدس ثم عُرج بك إلى السماء في جزء من الليل».

وكذلك كان وقع الخبر شديد على كثير من الناس، حتى من بعض من دخلوا في الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٦٠)، ولكن الله ثبّت الصِّدِّيق أبا بكر عندما سمع بتلك الحادثة قائلًا: «إن كان قال فقد صدق؛ فإني أصدقه فيما هو أبعد من ذلك؛ أصدقه في خبر السماء». (رواه الحاكم وصححه الألباني).

فكانت حادثة الإسراء والمعراج تثبيتًا لفؤاد النبي وتطييبًا لخاطره على ما لاقاه من عنف وشدة وأذى من قومه، وإعدادًا له لما هو آتٍ من سنوات في عمر الدعوة؛ لأنه صلى الله عليه وسلم كان يُعَدُّ ويُهيَّأ لمواجهة متاعب الدنيا، كذلك كانت تلك الحادثة مجالًا تتجلى فيه قدرة الله سبحانه ولطفه بعبده محمد، ومكانته عند ربه؛ حيث خصَّه دون كل الأنبياء والمرسلين بهذه الحادثة العجيبة والتي أراه فيها من آياته الكبرى ما يُثبِّت به فؤاد نبيه عليه الصلاة والسلام.

والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلاة وسلامًا على صاحب الإسراء والمعراج، ورضوان الله على صحابة نبينا محمد وعلى آله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عزاء واجب

توفي إلى رحمة الله تعالى يوم السبت ١٥ جمادى الآخرة ١٤٤٧هـ الموافق ٦ ديسمبر ٢٠٢٥ فضيلة الشيخ عبد المنعم قطب محمد عبد الحليم، رئيس فرع الجماعة بمنشأة البكاري بالجيزة.

وقد كان للشيخ رحمه الله إسهامات بارزة في نشاط الفرع.

ومجلس إدارة المركز العام، وأسرة مجلة التوحيد يتقدمون بخالص العزاء لفرع منشأة البكاري، وأسرة الشيخ رحمه الله، سائلين الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته.

الشيخ أحمد يوسف

Upload by : altawhedmag.com

تلك أُمنية المؤمن

إعداد الشيخ/ عبده أحمد الأقرع
فرع حضرموت

الحمد لله الذي وعد بتثبيت المؤمنين؛ فقال سبحانه وهو أحكم الحاكمين: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (إبراهيم: ٢٧). وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الهادي إلى الصراط المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الثبات على الطريق، ولزوم الجادة حتى يأتي اليقين، آية رشد المرء، وبرهان نُضجه، ودليل سداد رأيه، ورجحان عقله بعد توفيق الله له.

وإن أرفع مراتب الثبات وأعلى درجاته وأسمى غاياته: ثبات القلب على الحق واستقامته على الدين، وسلامته من التقلب. ولذا كانت الخشية من الزيغ بعد الهدى دأب أولي الألباب، ونهج أولي النهى وسبيل الراسخين في العلم الذين يبتغون إلى ربهم الوسيلة ويزدلفون إليه يرجون رحمته، ويخافون عذابه؛ قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ۙ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران: ٧-٨).

وإنما هذا من القوم مسألة لربهم أن يُثبّتهم على ما هم عليه من حسن نصرتهم بالإيمان بالله ورسوله، وما جاءهم به من تنزيله، حتى يقبضهم على أحسن أعمالهم وإيمانهم، فإنه إذا فعل ذلك بهم وجبت لهم الجنة؛ لأنه قد وعد سبحانه من فعل ذلك من عباده أن يُدخله الجنة، وهذا المقام الذي عليه هؤلاء الراسخون في العلم مقام رفيع يدل على كمال دينهم وحُسن تعبُدهم، وقوة صلتهم بربهم وخالقهم، وتمام التجائهم إليه وتذللهم بين يديه، يرجون رحمته ويخافون عذابه، ويسألونه الثبات على دينه القويم وصراطه المستقيم، وهذا تمام القدوة، وحُسن التأسي، وصدق الاتباع، فهذه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها تُحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُكثر في دعائه أن يقول: «يا مُقلّب القلوب، ثبّت قلبي على دينك». فقيل له في ذلك؟ قال: إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين إصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ». (صحيح الجامع رقم ٤٨٠١).

وهذا أنس رضي الله عنه يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر أن يقول: «يا مُقلّب القلوب ثبّت القلوب على دينك». فقلت: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء». (صحيح الترمذي رقم ٢١٤٠).

قال البغوي رحمه الله: فيه بيان أن العبد ليس إليه شيء من أمر سعادته أو شقاوته، بل إن اهتدى فبهداية الله إياه، وإن ثبت على الإيمان فبتثبيته، وإن ضل فبصرفه عن الهدى. قال سبحانه وتعالى: ﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (الحجرات: ١٧). وقال الله سبحانه وتعالى إخبارًا

Upload by : altawhedmag.com

عن حمد أهل الجنة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ (الأعراف: ٤٣). وقال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٢٧). (شرح السنة ١/١٦٧). اهـ.

فتبين بهذا أن الله تعالى هو الذي يتولى قلوب عباده، فيتصرف فيها بما شاء، لا يمتنع عليه شيء منها، ولا يكلها إلى أحد من خلقه، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خشي على هذه الثلة المؤمنة، والطليعة الراشدة مع ما بلغت من رسوخ الإيمان، وقوة اليقين، وصدق العبودية، ومع كون قرنها خير القرون، لما قال أنس رضي الله عنه: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم». فكيف بمن جاء من بعدهم من أهل العصور، لا سيما في هذا العصر الذي أطلت فيه الفتن وتتابعت على المسلمين، وعصفت بالقلوب ريح الشبهات والشهوات، وفتح للناس من أبوابها ما لا منتهى له، وانبعث سيل من المغريات المغويات، وراجت بين كثير من أهل جلدتنا بدع محدثات أدخلت على الدين وليست منه، وأضحت في أعرافهم دينًا يُتعبَّد الله به، وقربى يزدلفون بها إليه سبحانه. والله المستعان.

إن الإنسان في الدنيا عُرضة للفتن المضلة، وقد حكى ربنا العليم الخبير الفعال لما يريد مآل أقوام فقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١). وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ (العنكبوت: ١٠). وقد أقسم الصادق المصدوق فقال: «والله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها». متفق عليه: البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

إن من أعظم الفوائد التي يستفيدها المؤمن من هذا الحديث: الخوف من سوء الخاتمة، وعدم الاغترار بالأعمال الصالحة.

ولسوء الخاتمة أسباب تتقدم على الموت؛ مثل: البدعة، والنفاق، والكبر، وسائر المعاصي، ولذلك قال بعض السلف: "المعاصي يريد الكفر". (الجواب الكافي: ص٣٣).

فعلى العبد أن يلجأ إلى الله تعالى ويُكثر من قول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك». كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُكثر منه، وفي هذا إعلام للأمة بأن نفسه الزكية صلى الله عليه وسلم إذا كانت مفتقرة إلى أن تلجأ إلى الله سبحانه لتثبيت قلبه؛ فكيف الأمر بمن هو دونه، وكل العباد دونه، فما أحوج المسلم إلى تثبيت الله له على دينه القويم الذي هو سبب النجاة والفلاح في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ومن أسباب الثبات على دين الله: العمل بالعلم. قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝٦٦ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ۝٦٧ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ (النساء: ٦٦-٦٨).

فالله تعالى يُثبّت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان، الذي هو القيام بما وُعظوا به، فيُثبّتهم في الحياة الدنيا عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات، يُوفَّقون به لفعل الأوامر، وترك الزواجر، التي تقتضي النفس فعلها، وعند حلول المصائب التي يكرهها العبد، فيُوفق للتثبيت والصبر أو الرضا أو الشكر، فينزل عليه معونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين عند الموت وفي القبر. (تيسير الكريم الرحمن ٢/٩٥).

ومنها: التمسك بالكتاب والسنة على منهج السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين.

ومنها: الحذر من الذنوب أشد الحذر.

ومنها: المداومة على الأعمال الصالحة؛ فإنها تزيد الإيمان، ومن داوم على شيء حال حياته رُجيَ أن يُختم له به عند مماته.

ومنها: محاسبة النفس قبل الموت، والاستعداد لملاقاة الله في أي وقت.

إن الإنسان محتاج إلى بذل المساعي النافعة وسلوك المسالك الصالحة لينال رضى الله وهدايته وتوفيقه. ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (محمد: ١٧).

فاللهم يا مثبت القلوب ثبت قلوبنا على دينك. آمين.

Upload by : altawhedmag.com

نظرات في حياة شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله)

ابن تيمية

إعداد د. السيد عبد الحليم محمد حسين
مع قلة من علماء أنصار السنة المحمدية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فما زال حديثنا متصلًا حول حياة شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

حياته في السجن:

وللسجن مع ابن تيمية قصص:

- عندما اعتقل في سجن «الديلم» كان الناس يقصدونه في سجنه، فيُعلِّمهم ويفتيهم.

- ألَّف في السجن كتبًا ورسائل، ذكر فيها أحاديث وأقوالًا من حفظه، ولم يرجع فيها إلى كتاب ما، ولم يستشر حافظًا.

- قال ابن عبد الهادي: «لما دخل الحبس، وجد المحابيس مشتغلين بأنواع من اللعب، يتلهون بها عما هم فيه، كالشطرنج والنرد.. فأمرهم بملازمة الصلاة، والتوجُّه إلى الله، بالأعمال الصالحة، والتسبيح، والاستغفار، والدعاء، وحضهم على عمل الخير، حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيرًا من الزوايا، والروابط، والخوانق، والمدارس».

- وصار خلق من المحابيس إذا أطلقوا، يختارون الإقامة عنده.

- وكثر المترددون عليه، حتى كاد السجن أن يمتلئ بهم.

- وفي سجن دمشق كان يكتب ويؤلف، حتى رأى خصومه أن يضيقوا عليه، فأخرجوا ما عنده من الكتب، والأوراق، والدواة، والقلم، ومنع من الكتابة، والمطالعة، وحملت كتبه إلى خزانة الكتب بالعادلية.

- فلما كانت ليلة عيد الفطر نقلوه إلى الجُبّ، ولم تطل أيام ابن تيمية بعد هذا التضييق في السجن.

الشدائد تصنع الرجال:

كان طبيعيًا وله صراحته، وجرأته، وآراؤه المغايرة للتقليد، أن يجد هذه الخصومة العارمة، من العلماء، والأمراء.

ولكن ابن تيمية كان صلب العود، فقد واصل حملاته طوال حياته قوية جبارة، يصدر فيها عن عمق اطلاع، وسعة فهم، وأصالة في قيادة المساجلات.

وفي كل مرة من المرات التي عُقدت له مجالس المحاكمة-خمس مرات- يخرج منتصرًا.

وفي السجن كان يُعلم العامة، ويعكف على كتاباته، ومطالعاته، حتى إنه وضع تفسيره للقرآن، وهو في قبو مظلم، رطب تحت الأرض.

وكان يعاود عرض آرائه، وإعلانها للناس مرة فمرة، حتى تسكن الفتنة، ثم يعاود الكَرّة، فيستأنف دعوته، فتقوم عليه قومة المعارضين.

كان للأحقاد التي يوجهها خصوم ابن تيمية، أبعد الأثر في تألق عقله، في سبيل الكشف عن دفاع جديد، مما رفع شهرته، وعمق علمه.

كان من أخطر ما واجهه هو: تحريف آرائه، والدسّ عليه ولم تكن حياته صفوًا، بل كانت حافلة بالمتاعب، ففي الفترات التي كان يخرج من سجنه كانت العامة تلاحقه بالأذى، بل إن بعض العلماء تربصوا له مع بعض الغوغاء، وانتهزوا فرصة

Upload by : altawhedmag.com

مروره بأحد الأمكنة الخالية من العمران، فضربوه ضربًا مبرحًا، واحتمل ذلك صابرًا ومضى.

كان إذا خرج إلى المسجد اكتنفه الواشون من كل جانب، وسدوا عليه منافذ السبل، وقد تقبّل ذلك وغيره، من عوادي الأيام، بصدر رحب، وقلب مؤمن بأنه على الحق.

وبالرغم من هذا الاضطهاد، فإنه لم يغفل عن واجبه عندما هاجم التتار حدود الشام، فقد ركب فرسه، ومضى يحثّ الناس على الجهاد، وشهد موقعة «شقحب». وكانت حرارة إيمانه من العوامل المهمة في انتصار المسلمين.

العالم الفارس:

وتبدو شمائل هذا العالم الفارس وخُلقه، في تلك المبادرة الرائعة:

- فما أن شاع أن التتار قد أصبحوا قريبًا من دمشق، وأنهم يتباهون باحتلالها، حتى فزع الناس فزعًا شديدًا، وكاد أهلها يغادرونها، لولا وقفة شيخ الإسلام ابن تيمية الذي توسط الناس، وخطبهم موصيًا إياهم بالصبر والثبات، وحاضًا على الجهاد والمدافعة.

- ثم لا يلبث أن يخرج في جماعة من العلماء والأعيان، حتى يلتقي بقائد التتار.

- ثم يتولى ابن تيمية الحديث معه، ويُغلظ له في القول، حتى ظن الناس أنه هالك لا محالة، وقد استطاع بقوة عارضته أن يأخذ منه الأمان لأهل دمشق.

- قال القاضي شهاب الدين في ترجمته لابن تيمية: «إنه جلس إلى السلطان غازان، حيث تحجم الأسد في آجامها، وتسقط القلوب داخل أجسادها، جلس إليه، وأومأ بيده إلى صدره، وواجهه ودرأ في نحره».

- ولما قدم لهم غازان الطعام رفض أن يأكل.. فلما سأله عن ذلك! قال له في جرأة: «كيف آكل طعامكم وقد طهيتموه من أغنام الناس؟ وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس؟».

- فلما ذل له غازان، وطلب منه الدعاء، دعا في وجهه بأجرأ دعاء. فقال: «اللهم إن كان عبدك هذا إنما يقاتل لتكون كلمتك العليا، وليكون الدين كله لله، فانصره وأيّده، وملكه البلاد والعباد، وإن كان قام رياء وسمعة، وطلبًا للدنيا، ولتكون كلمته هي العليا، وليذل الإسلام وأهله، فاخذله، وزلزله، ودمّره، واقطع دابره». حتى قال له أصحابه بعد الدعاء: كدت أن تهلكنا، وتهلك نفسك.

بطولة نادرة:

- قال كمال الدين المنجا في كتابه «الكواكب الدرية»: «كنت حاضرًا مع الشيخ، فجعل يُحدّث السلطان»، ويقول: «قال الله ورسوله في العدل وغيره. ويرفع صوته على السلطان، ويُقرّب ركبته من ركبة السلطان، والسلطان مع ذلك مُقبل عليه بكليته، مُصْغٍ لما يقول، شاخص إليه، لا يعرض عنه، لما وقع في قلبه من المحبة والهيبة».

- فلما أعاد التتار عدوانهم، وهددوا دمشق في العام التالي، ركب إلى مصر، وقابل السلطان الناصر، وواجهه في شدة وقال: «لو قُدّر أنكم لستم حكام الشام، واستنفركم أهله، وجب عليكم النصر، فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه؟!».

- وقد واجه المعركة في جرأة، فدرّب الفقهاء على الرمي بالنشاب، وعلمهم الفروسية، وطرق القتال المختلفة.

- كان يقضي ليله يدور على الأسوار، يُحرّض الناس على الصبر والقتال.

- وكان يعقد مجلسه في الجامع كل يوم، يحرض الناس على القتال، ويحرم الفرار، ويرغب الناس في إنفاق الأموال.

- حارب الروافض بالسيف في جبل كسروان، وعُرف في كل مواقفه الحربية، بالشجاعة البالغة، شأنه في معاركه العلمية.

ولم يقف أمر ابن تيمية عند هذا الحد:

ففي معركة «شقحب» التي جمع فيها التتار جموعهم، وزلزل الناس زلزالا شديدًا، ألقى بنفسه في المعركة، وقاتل هو وجماعة من أصحابه.

- فلما انتهت الحرب بالنصر، أحاط به قومه، ليقبل الزعامة والولاية، فإذا به يجيب معتذرًا عن قبول الحكم والسلطان، ويقول: «إنما أنا رجل ملة لا رجل دولة».

رحمه الله وغفر له.

والحمد لله رب العالمين

Upload by : altawhedmag.com

من هدي النبي ﷺ
رجب من الأشهر الحرم

عن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجته فقال: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حرم؛ ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان" (متفق عليه)

من نور كتاب الله
المحجة في اتباع سبيل السلف

قال الله تعالى: « وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا » (النساء: ١١٥)

واحة التوحيد

من أقوال السلف

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: "السنة -والذي لا إله إلا هو- بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي".
(إغاثة اللهفان لابن القيم)

حكم ومواعظ

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والحلم».
(نضرة النعيم)

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«إن في الجنة نهرًا يقال له: رجب، (ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل)، من صام من رجب يومًا واحدًا، سقاه الله من ذلك النهر". باطل. رواه أبو محمد الخلال في "فضل شهر رجب" (١/١١) والديلمي (١/٢/ ٢٨١)
(السلسلة الضعيفة للألباني)

من سير الخلفاء

أهدي إلى عمر بن عبد العزيز طيبٌ وثيابٌ فرفضها، وقال: "إنما هي هدايا العُمّال، وهي غلول"؛ أي: أخذ مالٍ لا يحلّ لمن في منصب.
(سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي)

Upload by : altawhedmag.com

قول أئمة الإسلام في صيام شهر رجب

قال الحافظ ابن حجر: "لم يَرد في فضل شهر رجب ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه مُعيَّن، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه: حديث صحيح يصلح للحجة، وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمام أبو إسماعيل الهروي الحافظ، وكذلك رويناه عن غيره". (تبيين العجب بما ورد في فضل رجب)

إعداد/د. علاء خضر

من دعاء الرسول ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لهم: «أتحبّون أيّها النّاس أن تجتهدوا في الدّعاء؟» قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «قولوا: اللهمّ أعنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" (مستدرك الحاكم)

من معاني الأحاديث

الأثرة: «جاء في الحديث: إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا». الأثرة-بفتح الهمزة والثاء- الاسم من آثر يوثر إيثارًا إذا أعطى، أراد أنه يستأثر عليكم فيفضل غيركم في نصيبه من الفيء. والاستئثار: الانفراد بالشيء. (النهاية لابن الأثير).

احذر أيها المحتكر

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "الجالب مرزوق، والمحتكر محروم، ومن احتكر على المسلمين طعاما ضربه الله بالإفلاس والجذام" (جامع الأصول).

من حكمة الشعر (قال أبو العتاهية):

واذا تناسبت الرجال، فما أرى
نسبًا يُقاس بصالح الأعمال
واذا بحثت عن التقي وجدته
رجلًا يُصدّق قولَه بفعال
(ديوان أبي العتاهية)

من فضائل الصحابة

فضل عثمان بن عفان رضي الله عنه

عندما جهّز عثمانُ بن عفان رضي الله عنه جيش تبوك بالأموال والسلاح، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم" (رواه الترمذي ٣٧٠١، وصححه الألباني).

Upload by : altawhedmag.com

السطحية العلمية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فإن العالم يشهد ثورة معلوماتية غير مسبوقة؛ إذ توافرت سُبل الاتصال، ويُسّرت طرق البحث والاستقراء، وذُلّلت مصادر لم تكن إلا في خزائن الأدراج، بل ونُقلت أصوات الدعاة والعلماء في كل الأقطار.

إعداد د/ أحمد بن سليمان أيوب
رئيس فرع بلبيس

ومع هذه الثروة المتتابعة والمتلاحقة؛ سادت حالة من السطحية العلمية، والفجوة الأدبية، وفقد الرسوخ والأدب في فهم العلوم الشرعية، والعزوف عن الدقة في البحث والتنقيح للمسائل العلمية، نعم زادت وسائل التعلم، لكننا فقدنا المتعلم، وكثرت دروس البثّ، لكننا فقدنا الأثر الملموس في تزكية النفس، وانتشرت مصنفات العلم، لكن فقدنا الجَلَد في مداومة القراءة وتقييد النفيس من الكتب والفرائد وضعفت الهمم، وظهرت أنواع من السطحية العلمية والفكرية في تناول القضايا العظام والمسائل الكبار، فلم يَعُد همُّ الفتية اليوم الانكباب على الأمهات بقَدْر ما يحرصون على تناول قصير المقالات والتغريدات، ولم يَعُد في مقدور الشباب الصبر على سماع محاضرة علمية تزيد على الساعات، وانما يحرصون على سماع المقاطع بما لا يتعدى دقيقة أو دقيقات، فالهمم قد فترت، والشواغل بالتنوع المعرفي المتداخل والمتلاطم قد كثرت، والاكتفاء بالنُّتَف والقصاصات قد طغت؛ فعمَّ الجهل وفشا، واستفحل التَّعالُم وطغى، واكتفى كثير من الطلاب بقشور، وتركوا اللُّبَّ واهتموا بحب الظهور.

وها هو الإمام ابن الجوزي يصف حالة الضعف العلمي والسطحية العقلية فقال: "كانت همم القدماء من العلماء عَلِيَّة، تدلُّ عليها تصانيفهم، التي هي زُبْدَة أعمارهم، إلا أن أكثر تصانيفهم دَثُرت؛ لأن همم الطلاب ضعُفت، فصاروا يطلبون المختصرات ولا ينشطون للمطوَّلات، ثم اقتصروا على ما يدرسون به من بعضها، فدَثُرت الكتب ولم تُنْسَخ. فسبيل طالب الكمال في طلب

Upload by : altawhedmag.com

العلم: الاطلاع على الكتب، التي قد تخلفت من المصنفات، فليكثر من المطالعة: فإنه يرى من علوم القوم، وعلو هممهم ما يشحذ خاطره، ويحرك عزيمته للجد، وما يخلو كتاب من فائدة.

وأعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم! لا نرى فيهم ذا همة عالية؛ فيقتدي به المبتدئ، ولا صاحب ورع، فيستفيد منه الزاهد.

فالله الله، وعليكم بملاحظة سير السلف، ومطالعة تصانيفهم وأخبارهم، فالاستكثار من مطالعة كتبهم رؤية لهم، كما قال:

فاتني أن أرى الديار بطرفي
فلعلي أرى الديار بسمعي

واني أُخبر عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكتب، واذا رأيت كتابًا لم أره، فكأني وقعت على كنز، ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية؛ فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد.... ولو قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد، كان أكثر، وأنا بعدُ في الطَّلَب! فاستفدتُ بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقَدْر هممهم، وحفظهم وعباداتهم، وغرائب علومهم: ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرتُ أستزري ما الناس فيه، وأحتقر همم الطلاب. ولله الحمد. (صيد الخاطر: ص٤٥٢)

تعلُّم العلم له طريقان:

أحدهما: طريق المشافهة، وهو أخذه عن أهله العلماء به، وعلى هذا درج السلف وتعلم الخلف، ولهذا عقدت حلقات العلم ومجالس الإقراء والسماع والإجازة.

روى الخلال في أخلاق الإمام أحمد عن إبراهيم، قال: كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته وإلى سَمْته وإلى هيئته، ثم يأخذون عنه. وعن الأعمش، قال: كانوا يتعلمون من الفقيه كل شيء حتى لباسه ونعليه.

وقيل لابن المبارك: أين تريد؟ قال: إلى البصرة، فقيل له: مَن بقي؟ فقال: ابن عون، آخذ من أخلاقه، آخذ من آدابه.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: كنا نأتي الرجل ما نريد علمه ليس إلا أن نتعلم من هديه وسمته ودلّه. وكان علي بن المديني وغير واحد يحضرون عند يحيى بن سعيد القطان ما يريدون أن يسمعوا شيئًا إلا أن ينظروا إلى هديه وسمته. (الآداب الشرعية ٢/١٤٥).

وروى الخطيب عدة آثار في فضل تعلُّم الهَدْي والسمت من العلماء، فروى بإسناده قال مالك بن أنس، قال ابن سيرين: «كانوا يتعلمون الهَدْي كما يتعلمون العلم» قال: وبعث ابن سيرين رجلًا فنظر كيف هَدْي القاسم وحاله.

وعن ابن المبارك، قال: قال لي مخلد بن الحسين: «نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث».

وعن أبي زكريا العنبري، يقول: "علم بلا أدب كنار بلا حطب، وأدب بلا علم كروح بلا جسم، وانما شبّهت العلم بالنار لما روينا عن سفيان بن عيينة أنه قال: ما وجدت للعلم شبهًا إلا النار، نقتبس منها ولا ننتقص عنها".

وقال ابن خلدون في المقدمة: "إنَّ الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة: مزيد كمال في التعليم، والسبب في ذلك أنَّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من المذاهب والفضائل، تارة: علمًا وتعليمًا ولقاءً. وتارة: محاكاةً وتلقينًا بالمباشرة. إلا أنَّ حصول الملَكات عن المباشرة والتلقين، أشدُّ استحكامًا وأقوى رسوخًا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها وتفتحها.

والاصطلاحات أيضًا في تعليم العلوم مُخلّطة

Upload by : altawhedmag.com

على المتعلم، حتى لقد يظنُّ كثير منهم أنَّها جزء من العلم، ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين.

فلقاء أهل العلوم، وتعدُّد المشايخ: يُفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيُجرِّد العلم عنها، ويعلم أنَّها أنحاء تعليم وطرق توصيل، وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في الملكات، ويصحح معارفه ويُميِّزها عن سواها، مع تقوية مَلَكته بالمباشرة والتلقين، وكثرتهما من المشيخة عند تعدُّدهم وتنوُّعهم، وهذا لمن يسَّر الله عليه طرق العلم والهداية.

فالرحلة لا بد منها في طلب العلم، لاكتساب الفوائد والكمال، بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وهذه الطريقة للتعلم أدعى للفهم وأسرع في التعلم وأبعد من الخطأ

قال الشاطبي عنها: "خاصية جعلها الله تعالى بين المُعلِّم والمتعلم، يشهدها كلّ مَن زاول العلم والعلماء؛ فكم من مسألة يقرؤها المتعلم في كتاب، ويحفظها ويرددها على قلبه فلا يفهمها، فإذا ألقاها إليه المُعلِّم فهمها بغتةً، وحصل له العلم بها بالحضرة، وهذا الفهم يحصل إما بأمر عادي من قرائن أحوال، وايضاح موضع إشكال لم يَخْطُر للمتعلم ببال، وقد يحصل بأمر غير معتاد، ولكن بأمر يهبه الله للمتعلم عند مثوله بين يدي المعلم، ظاهر الفقر بادي الحاجة إلى ما يُلقَى إليه.

وهذا ليس يُنْكَر؛ فقد نبَّه عليه الحديث الذي جاء: "إن الصحابة أنكروا أنفسهم عندما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم".

الثانية: أخذه عن الكتب والمصنفات، وهي دواوين العلم وخزائنه. ومعلوم أن كل كتاب له مفتاح وأهل العلم الراسخين معهم مفاتيح الكتب ففي الكتب أمور تصدّ عن التعلم؛ كما قال سليمانُ بن موسى: لا يُؤخَذُ العلمُ مِنْ صَحَفِيٍّ. (التمهيد ٤٦/١).

قال الشاطبي مبينًا أهمية هذه الطريقة، وأنها نافعة لكن بشروط فقال: "مطالعة كتب المصنفين ومدوني الدواوين، وهو أيضًا نافع في بابه؛ بشرطين:

الأول: أن يحصل له من فهم مقاصد ذلك العلم المطلوب، ومعرفة اصطلاحات أهله؛ ما يتم له به النظر في الكتب، وذلك يحصل بالطريق الأول، ومن مشافهة العلماء، أو مما هو راجع إليه، وهو معنى قول مَن قال: "كان العلم في صدور الرجال، ثم انتقل إلى الكتب، ومفاتحه بأيدي الرجال"، والكتب وحدها لا تفيد الطالب منها شيئًا، دون فتح العلماء، وهو مشاهد معتاد.

والشرط الآخر: أن يتحرى كتب المتقدمين من أهل العلم المراد؛ فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين، وأصل ذلك التجربة والخبر.

أما التجربة: فهو أمر مشاهد في أيّ علْم كان، فالمتأخر لا يبلغ من الرسوخ في علم ما يبلغه المتقدم، وحسبك من ذلك أهل كل علم عملي أو نظري؛ فأعمال المتقدمين-في إصلاح دنياهم ودينهم- على خلاف أعمال المتأخرين، وعلومهم في التحقيق أقعد، فتحقق الصحابة بعلوم الشريعة ليس كتحقق التابعين، والتابعون ليسوا كتابعيهم، وهكذا إلى الآن، ومَن طالع سِيَرهم، وأقوالهم، وحكاياتهم؛ أبْصَر العجب في هذا المعنى. ثم ساق عدة

Upload by : altawhedmag.com

أخبار وقال: وقال عليه السلام: "إن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ؛ فطوبى للغرباء". قيل: مَن الغرباء؟ قال: "النُّزَّاع من القبائل".

وفي رواية: قيل: ومَن الغرباء يا رسول الله؟ قال: "الذين يَصْلُحون عند فساد الناس". والأخبار هنا كثيرة، وهي تدل على نقص الدين والدنيا، وأعظم ذلك العلم؛ فهو إذًا في نقص بلا شك.

فلذلك صارت كتب المتقدمين وكلامهم وسيرهم؛ أنفع لمن أراد الأخذ بالاحتياط في العلم، على أي نوع كان، وخصوصًا علم الشريعة، الذي هو العروة الوثقى، وبالله تعالى التوفيق. (الموافقات (١/١٤٥). بتصرف).

فهكذا كان سبيل المتعلمين، وطريق المجتهدين، ووسيلة الصالحين، قد مزجوا بين لقاء الشيوخ والانتفاع بعلومهم مع انتقاء الكتب المحررة لتثبيت علومهم، فكان الكتاب نديمهم وأنيسهم في خلواتهم، قيل لعبد الله بن المبارك: كيف لا تستوحش في مكانك وحدك؟ فقال كيف يستوحش من هو مجالس للنبي-عليه السلام- والصحابة والتابعين-رضي الله عنهم- ، يعني: الكتب التي فيها الأخبار، والسِّيَر، والله أعلم. (الآداب الشرعية ٣/٦٠٧).

وقال أحمد بن عمران: كنتُ عند أبي أيوب أحمد بن محمد بن شجاع، وقد تخلف في منزله، فبعث غلامًا من غلمانه إلى أبي عبد الله بن الأعرابيِّ صاحب الغريب، يسأله المجيء إليه، فعادَ إليه الغلامُ فقال: قد سألتُه ذلك فقال لي: عندي قومٌ من الأعراب، فإذا قضيتُ أَرَبي معهم أتيتُ. قال الغلامُ: وما رأيتُ عندَه أحدًا، إلا أنَّ بين يديه كُتُبًا ينظر فيها، فينظر في هذا مرةً، وفي هذا مرةً، ثمَّ ما شَعَرْنا حتَّى جاء، فقال له أبو أيوب: يا أبا عبد الله، سبحان الله العظيم! تخلَّفتَ عنَّا وحرمتَنا الأنس بك، ولقد قال لي الغلامُ: إنه ما رأى عندك أحدًا. وقد قلتَ له: أنا مع قوم من الأعراب، فإذا قضيتُ أَرَبي معهم أتيتُ. فقال:

لنا جلساءُ ما نملُّ حديثَهم
ألبَّاءُ مأمونون غيبًا ومشهدا
يُفيدوننا من علمهم مثل ما مضى
وعقلًا وتأديبًا ورأيًا مُسدَّدا
بلا فتنةٍ تُخشى ولا سوء عشرةٍ
ولا نتَّقي منهم لسانًا ولا يدًا
فإن قلتَ أمواتٌ فما أنت كاذبٌ
وإن قلت أحياءٌ فلست مُفنِّدا

(طبقات النحويين: ١/١٩٧).

وكان الزهري، إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله مشتغلاً بها عن كل أحد، فقالت له زوجته: والله لهذه الكتب أشد عليَّ من ثلاث ضرائر. (المختصر في أخبار البشر: ١/٢٠٤).

فلماذا يُلْتَمَس العلم اليوم عند الأصاغر، ويُصْدَف عن مصنفات الأكابر، والله إنها من الكبائر، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن من أشراط الساعة ثلاثة: إحداهن أن يُلْتَمَس العلْم عند الأصاغر" أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢/٣٦١ رقم ٩٠٨) وصححه الألباني في الصحيحة (٦٩٥).

قيل لابن المبارك: مَن الأصاغر؟ قال: الذين يقولون برأيهم، فأما صغير يروي عن كبير فليس بصغير. وانظر جامع بيان العلم وفضله (١/٢١٩).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Upload by : altawhedmag.com

تعلمت من رسول الله

عرَّفَ بعضَه وأعرَضَ عن بعض

الحلقة 5

إعداد: د: جمال عبد الرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد:

فلا يخلو شخص من نقص، ولا يَسلم آدمي من خطأ، فكل ابن آدم خطَّاء، ومن المستحيل أن يجد أحدنا كل ما يريده في الطرف الآخر كاملاً. كما أنه لا يكاد يمر وقت دون أن يشعر أحدنا بالضيق من تصرف قام به غيره. ولهذا فعلى كل واحد منا تَقَبُّل الطرف الآخر، والتغاضي عما لا يعجبه فيه من أقوال وأفعال، وصفات وطبائع.

وقد كان النبي-صلى الله عليه وسلم، وهو القدوة- يتغاضى عن كثير من زلات أصحابه وأزواجه ولا يدقق في كل شيء؛ لأن كثرة التدقيق تورث النفور والملل، والسآمة والكلل.

وقد قال عنه أصحابه رضوان الله تعالى عليهم: "كَانَ النَّبِيُّ-صلى الله عليه وسلم- يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الأَيَّامِ، كَرَاهَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا". البخاري ح٦٨.

وكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بن مسعود يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِالرَّحْمَنِ، لَوَدِدْنَا

Upload by : altawhedmag.com

أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ صلى الله عليه وسلم يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا. قال أبو الزناد: أراد -صلى الله عليه وسلم- الرفق بأمته ليأخذوا الأعمال بنشاط وحرص عليها، وقد وصفه الله بهذه الصفة، فقال: (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة: ١٢٨). شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١٥٣).

وَأَهْلُ الْعِلْمِ يَكْرَهُونَ مِنَ الْمَوَاعِظِ مَا يُنْسِي بَعْضُهُ بَعْضًا؛ لِطُولِهِ، وَيَسْتَحِبُّونَ مِنْ ذَلِكَ مَا وَقَفَ عَلَيْهِ السَّامِعُ الْمَوْعُوظُ فَاعْتَبَرَهُ بَعْدَ حِفْظِهِ لَهُ وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الْقِلَّةِ. الاستذكار (٢/ ٣٦٤).

فإذا كان الاقتصاد عندهم في النصيحة والتعليم، الذي هو الدين والشرع، والذي هو ليس ككل كلام وحديث، والذي هو مادة العبادة لربهم جل وعلا، والذي يصدر من خير معلِّم؛ رسولنا صلى الله عليه وسلم، وكذا من أصحابه الأخيار؛ فما بال ما دون ذلك من الأقوال والأفعال والمواقف؟ لا شك أنها أولى بالاقتصاد والتغاضي. خاصة عند التعليق على الأخطاء، وعند النصيحة والتوجيه. فلا يصلح التدقيق في كل شيء، بل يجب التغاضي عن البعض بعد التعريج على البعض الآخر.

قال الله تعالى يصف النبي -صلى الله عليه وسلم-: «وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ...». التحريم/٣.

قال البغوي رحمه الله: عَرَّفَ النبي -صلى الله عليه وسلم- حَفْصَةَ بَعْدَ ذَلِكَ الْحَدِيثَ، أَيْ أَخْبَرَهَا بِبَعْضِ الْقَوْلِ الَّذِي كَانَ مِنْهَا، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ، يَعْنِي لَمْ يُعَرِّفْهَا إِيَّاهُ، وَلَمْ يُخْبِرْهَا بِهِ. قَالَ الْحَسَنُ: مَا اسْتَقْصَى كَرِيمٌ قَطُّ؛ قال الله تعالى: «عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ». تفسير البغوي (٥/ ١١٨).

وقال القرطبي رحمه الله: ومَعْنَى «عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ»: عَرَّفَ حَفْصَةَ بَعْضَ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ أَنَّهَا أَخْبَرَتْ عَائِشَةَ بِمَا نَهَاهَا عَنْ أَنْ تُخْبِرَهَا، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ تَكَرُّمًا. تفسير القرطبي (١٨/ ١٨٧).

فعرَّف النبي -صلى الله عليه وسلم- بعضه وأعرض عن بعض، لكمال خُلقه؛ لأنه لم يبين إلا ما لا يَقْبُح ذكره ولا يُستحيا منه.

قال السعدي رحمه الله: في هذه الآية إشارةٌ إلى الإغضاء عن العُيوب، والصَّفح عن الذُّنوب، والتَّغافل عن الزَّلَّات. وقد قال تعالى في وصف أخلاقه -صلى الله عليه وسلم- مع زوجاته: «فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ» (التحريم: ٣). قال السمعاني: (قَوْلُه: «عَرَّفَ بَعْضَهُ» أي: عرَّفها بعض ما كان بينهما، وأعرض عن البعض؛ تكرُّمًا وصفحًا، والتَّغافُل عن كثير من الأمور من شيمة العُقلاء وأهل الكرم). تفسير السعدي (ص: ٣٥٤).

وفي التغافل أيضًا: رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي مَنَاقِبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ زَائِدَةَ قَالَ: "الْعَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ، تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي التَّغَافُلِ".

Upload by : altawhedmag.com

فحدَّثتُ به أحمد بن حنبل فقال: "العافية عشرة أجزاء كلُّها في التغافل". الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح المقدسي (٢/ ١٧).

وقال بعض الحكماء: وجدت أكثر أمور الدُّنيا لا تجوز إلا بالتغافل. وقال أكثم بن صيفي: من شدَّد نفَر، ومن تراخى تألَّف، والشرف في التغافل. وقال شبيب بن شيبة الأديب: العاقل هو الفطن المتغافل.

وحُكي عن بنت عبد الله بن مُطيع أنها قالت لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، وكان أجود قريش في زمانه: ما رأيت قومًا ألأم من إخوانك. قال: مه ولم ذلك؟ قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك. قال: هذا والله من كرمهم، يأتوننا في حال القوة بنا عليهم، ويتركونا في حال الضعف بنا عنهم. فانظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فعلهم حسنًا، وظاهر غدرهم وفاءً. وهذا محض الكرم ولباب الفضل، وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأولوا الهفوات من إخوانهم. أدب الدنيا والدين للماوردي (ص: ١٨٠).

والتغافل هو تعمد الغفلة، مع العلم والإدراك لما يتغافل عنه؛ تكرماً وترفعاً عن سفاسف الأمور.

قال العلماء: فالتغافل شيمة أهل الدين، وما استقصى كريمٌ قط. وما زال التغافل من شيم الكرام. ومن الذكاء كل الذكاء: التغافل عن كل ذنب لا تستطاع العقوبة عليه، وعن عداوة كل عدو لا تقدر على الانتصار منه. لا يكون المرء عاقلاً حتى يكون عما لا يعنيه غافلاً.

جاءت امرأة فسألت حاتمًا عن مسألة؟ فاتفق أنه خرج منها صوتٌ في تلك الحالة. فخجلت. فقال حاتم: ارفعي صوتك. فأوهمها أنه أصمّ. فسُرَّت المرأة بذلك. وقالت: إنه لم يسمع الصوت. فلُقِّب بحاتم الأصم. وهذا التغافل هو نصف الفتوة. مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٣٢٨).

وينبغي للزوج أن يتغاضى عن بعض زلات زوجته، ولا يدقق في كل الأمور، فالتدقيق في كل الأمور؛ يورث الكراهية والنفور، ويولد الكبت والملل من الزوج الجاهل المغرور.

ولقد سبق القرآن الكريم في إثبات التغاضي عن بعض الزلات لأصحاب الهفوات. ففي سورة يوسف عليه الصلاة والسلام، ما يبين أن التغافل خلق عظيم، فتترك الخطأ الذي ارتكبه الآخر مؤقتًا، ثم تعود إليه لتناقشه فيه وتصوبه له لأنك تحبه. يقول الله تعالى: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ (سورة يوسف: ٧٧). فيوسف البريء يتغافل عن اتهامه بالسرقة؛ لأنه يريد حب إخوته وكسب قلوبهم، مع قدرته على الرد، فالتغافل قوة لا ضعف.

وكفار قريش يشتمون النبي الكريم وينادونه مذممًا، فما كان منه إلا أنه قال -صلى الله عليه وسلم-: «ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مُذمَّمًا، ويلعنون مُذمَّمًا وأنا مُحمَّدٌ» صحيح البخاري ح٣٥٣٣. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

Upload by : altawhedmag.com

فأصحاب النفوس الراقية والهمم العالية يتغافلون؛ لأن لهم أهدافًا عظمى يريدون تحقيقها.

كما جاء في سورة يوسف أيضًا قولُ يوسف لأبيه وإخوته: «هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ» (يوسف: ١٠٠)، ولم يقل: أخرجني من الجُبّ؛ حفظًا للأدب مع إخوته. وحفاظًا عليهم أن لا يُخجلهم بما جرى في الجُبّ. وأضاف ما جرى إلى السبب. ولم يُضفه إلى المباشر الذي هو أقرب إليه منه. فقال: «مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي» (يوسف: ١٠٠)؛ فأعطى الفُتوة والكرم والأدب حقه. ولهذا لم يكن كمال هذا الخُلق إلا للرُسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٦٠).

قال الشوكاني رحمه الله: "ولم يذكر إخراجه من الجُبّ لأن في ذكره نوع تثريب للإخوة، وقد قال: لا تثريب عليكم". فتح القدير للشوكاني (٣/ ٦٧).

وقال الثعلبي رحمه الله: «وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن»؛ ولم يقل من الجبّ استعمالًا للكرم، لئلا يذكر إخوته صنيعهم. تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٥/ ٢٦٠).

وقال الماوردي: إنه لما عفا عن إخوته بقوله: «لا تثريب عليكم اليوم»؛ أعرض عن ذكر الجُب لما فيه من التعريض بالتوبيخ. تفسير الماوردي = النكت والعيون (٣/ ٨٣).

وعن عائشة، رضي الله عنها قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود». سنن أبي داود ح٤٣٧٥ (صحيح).

وفي الدرر السنية شرح الموسوعة الحديثية قال: العفو عن الزلات التي تصدُر من الناس من محاسن الشريعة الإسلامية، لا سيما إذا كان من صدرت منه معروفًا بين الناس بالفضل والخير، فمثل هذا يكون الستر في حقه أولى؛ حتى لا يذهب خيرهم في الناس، وحتى لا تنعدم قدوتهم بين الناس.

وفي هذا الحديث يقول النبيُ -صلى الله عليه وسلم-: "أقيلوا" أمرٌ من الإقالة، أي: اعفوا عن "ذوي الهيئات"، أي: أصحاب المروءات والخصال الحميدة، ممن لم يظهر منهم ريبة، "عثراتهم"، أي: زلاتهم، وما يصدُر عنهم من الخطايا، وهذا في ستر معصية وقعت وانقضت، "إلا الحدود".

وهذا بابٌ عظيمٌ من أبواب محاسن هذه الشريعة الكاملة؛ فإن الإنسان الذي يُعلم من غالب أحواله الاستقامة والخير إذا زلّ ما لم يكن حدًا من حدود الله تغاضوا عنه، ولا تأخذوه به؛ لأن الغالب عليه الخير.

فلنتغاض قليلًا حتى تسير الحياة سعيدة هانئة لا تُكدرها صغائر، ولتلتئم القلوب على الحب والسعادة، فكثرة العتاب تُفرق الأحباب. وقد قالوا في خلق التغافل:

ليس الغبي بسيد في قومه
لكن سيد قومه المتغابي

والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

الرد على من زعم أن عقد القرض ليس من العقود الربوية

إعداد
د. أيمن خليل
دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثم أما بعد: فما زلنا مع الارهاصات الأولى لإباحة المعاملات الربوية، وقد عرضنا فيما سبق لإباحة القروض الإنتاجية في الكنيسة الكاثوليكية على يد البابا إينوسنت الرابع، وإباحة القروض الإنتاجية في الكنيسة البروتستانتية على يد "جون كالفن"، مع الإبقاء على تحريم الربا فيما عداها.

كما عرضنا لانتقال هذه الدعوة إلى ديار الإسلام في سوريا على يد د. محمد معروف الدواليبي، والذي دعا إلى إباحة قروض الإنتاج ممثلة في سندات الحكومة وسندات الشركات على إطلاقها، وانتقلت هذه الدعوة إلى مصر على استحياء في فتوى للشيخ محمد عبده، وعلى يد الشيخ محمود شلتوت والدكتور محمد يوسف موسى، بشرط تحقق الضرورة، والشيخ عبد الوهاب خلاف، والذي اشترط تحقيق المصلحة.

زعم د. السنهوري أن عقد القرض ليس من العقود الربوية

كانت أخطر الدعاوى التي ظهرت في ذلك الوقت لإباحة عقد القرض دعوى د.عبد الرزاق السنهوري الفقيه القانوني الشهير ورئيس مجلس الدولة الأسبق بمصر في كتابه مصادر الحق في الفقه الإسلامي؛ حيث ذهب إلى أن الربا لا يكون إلا في عقود البيع فقط، وأن عقد القرض ليس من العقود الربوية. وذهب إلى أن القرض الذي يجرّ منفعة لم يرد النص بتحريمه، وإنما يقاس على البيع الربوي (بجامع الزيادة لقاء الأجل).

وانتهى د. السنهوري إلى أن الفائدة في القرض لا تُعتبر ربًا حقيقيًا، بل يقتصر الأمر على أن فيها شبهة الربا، وأن التحريم فيها تحريم للوسائل لا تحريم للمقاصد، ومن ثَمَّ يرتفع التحريم إذا قامت الحاجة.

ويلاحظ أن الشيخ /محمود شلتوت والدكتور/ محمد يوسف موسى، اشترطا لإباحة قروض الإنتاج تحقق الضرورة (والضرورة هي الأمور الذي يكون الإنسان في مشقة شدة بفقدها ومعلوم أن الضرورة تقدر بقدرها، وهي على خلاف الأصل)، أما د. السنهوري فقال بارتفاع التحريم إذا قامت الحاجة (والحاجة هي الأمور

Upload by : altawhedmag.com

التي تيسر أمور الحياة)، ومن ثم يجوز عنده القرض لمن يريد تملك المسكن رغم أن حاجته تندفع بالاستئجار، ومن أراد شراء السيارة وإن كانت حاجته تندفع بالمواصلات العامة فلا يجوز ذلك على شرط الشيخ شلتوت ود. محمد يوسف.

د. السنهوري يرى أن الربا يرد في عقد البيع فقط

يقرر د. عبد الرزاق السنهوري أن عقد القرض ليس من العقود الربوية في الفقه الإسلامي، وأن الربا يرد في عقد البيع، ومن ثم يخرج ربا الديون من دائرة التحريم؛ لأن الفائدة في القرض لا تعتبر ربًا حقيقيًا؛ لأن تحريم الزيادة في القرض لقاء الأجل جاء بالقياس على ربا الفضل والنسيئة.

وخالف د. عبد الرزاق السنهوري بذلك إجماع فقهاء المسلمين الذين لم يختلفوا في أن ربا الجاهلية الذي جاء تحريمه في القرآن الكريم هو ربا الديون (ربا القروض)، كما خالف د. السنهوري إجماع الفقهاء على تحريم ربا القروض.

إجماع المفسرين على أن تحريم ربا القروض ورد في القرآن الكريم

لخطورة القول الذي ذهب إليه د. عبد الرزاق السنهوري نشير فيما يلي لأقوال بعض المفسرين الذين اتفقت كلمتهم على أن الربا المحرم في آيات سورة البقرة هو ربا القروض، ومن هؤلاء:

ذهب شيخ المفسرين الطبري في قوله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» البقرة: الآية ٢٧٨، الربا الذي نهى المولى سبحانه وتعالى عنه: "كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدَّين فيقول: لك كذا وكذا وتؤخر عني، فيؤخر عنه"، وذكر الطبري صورة أخرى لجريان الربا في الجاهلية؛ وهي أن يبيع الرجل البيع إلى أجل مسمى؛ فإذا حل الأجل ولم يكن عند صاحبه قضاءً، زاده وأخر عنه، كما ذكر في تفسيره أن هذه الآيات نزلت في العباس بن عبد المطلب ورجل من بني المغيرة كانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا إلى أناس من ثقيف من بني عمرو بن عمير. (جامع البيان في تأويل القرآن: ج٦، ص٨).

وذكر القرطبي في تفسيره اتفاق العلماء على أن هذا هو ربا الجاهلية الذي تضمنت الآية تحريمه (الجامع لأحكام القرآن: ج٣، ص٣٦٣).

كما يؤكد الجصاص الحنفي في تفسيره أن الربا الوارد تحريمه في القرآن الكريم هو ربا القروض ويقول الجصاص أيضًا: "... والثاني أنه معلوم أن ربا الجاهلية إنما كان قرضًا مؤجلًا بزيادة مشروطة فكانت الزيادة بدلًا من الأجل فأبطله الله تعالى وحرمه" (أحكام القرآن: ج٢، ص١٨٦ و١٨٧).

ويذكر الماوردي الشافعي في تفسيره أن هذه الآية من سورة البقرة نزلت بسبب ربا الديون (النكت والعيون: ج١، ص٣٥١ و٣٥٢).

وإلى هذا ذهب البغوي في تفسيره حيث يقول: "... إن الآية نزلت في أربعة إخوة من ثقيف وهم: مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة، وهم بنو عمرو بن عمير بن عوف الثقفي، كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم، وكانوا يرابون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف أسلم هؤلاء الإخوة فطلبوا رباهم من بني المغيرة، فقال بنو المغيرة: والله ما نعطي الربا في الإسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين، فاختصموا إلى عتاب بن أسيد-وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة- فكتب عتاب بن أسيد إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين، وكان ذلك مالًا عظيمًا، فأنزل الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين...» (معالم التنزيل في تفسير القرآن: ج١، ص٣٨٧).

وبمثل هذا قال ابن عطية في تفسيره (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ج١، ص٣٧٤)، وهذا أيضًا ما قال به النسفي في تفسيره (مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ج١، ص٢٢٥)، وهو ما قال به أبو الفداء ابن كثير في تفسيره (تفسير

Upload by : altawhedmag.com

القرآن العظيم؛ ج ١، ص٧١٦).

ويذكر ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير سببًا آخر لنزول الآيات، لكنه يؤكد أنها نزلت بشأن ربا القروض فيقول: ".. إنها نزلت في العباس وخالد بن الوليد، وكانا شريكين في الجاهلية وكانا يُسلفان في الربا، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا، فنزلت هذه الآية، (زاد المسير في علم التفسير، ج١، ص٢٤٨).

والسبب الذي اختاره ابن الجوزي مال إليه أبو حيان الأندلسي في تفسيره (البحر المحيط في التفسير: ج٢، ص٧١١)، وبنحوه قال أيضًا أبو السعود العمادي في تفسيره الموسوم بتفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ج١، ص٢٦٧).

وقد ذكر السيوطي في تفسيره الدر المنثور كلا السببين السابقين لنزول هذه الآية (الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ج٢، ص١٠٧ و١٠٨).

وجزم الطاهر بن عاشور بأن الآيات نزلت بشأن ربا القروض في تفسيره التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ج٣، ص٩٤)، وإلى ذلك ذهب محمد أبو زهرة في تفسيره المسمى (زهرة التفاسير: ج٢، ص١٠٥٧).

ومما سلف يتبين أن ربا الجاهلية الذي ورد القرآن بتحريمه هو ربا القروض، كما يتضح جليًا أن ما ورد في القرآن الكريم بشأن الربا كان خاصًا بربا الديون وليس ربا البيوع (ربا النسيئة وربا الفضل)؛ لأن العرب لم تكن تعرف هذا النوع من الربا قبل وروده في السنة المطهرة، وهو ما حدا بالفقهاء إلى التعرض بالشرح لربا البيوع-ربا النسيئة وربا الفضل-؛ لأن ربا الديون كان معلومًا للكافة، ومن ثم فالقول بأن الفائدة في القرض لا تعتبر ربًا حقيقيًا يصادم إجماع أهل العلم على تحريم ربا الديون.

مخالفة د. السنهوري لإجماع الفقهاء على تحريم ربا القروض

وحيث ذهب د. السنهوري إلى أن القرض الذي يجر منفعة ليس أصيلًا في العقود الربوية، وانما يقاس على البيع الربوي، والهدف من ذلك هو إباحة هذا النوع لكونه غير محرم في ذاته وانما لكونه ذريعة إلى الربا، رغم أن ربا القروض هو الربا الذي ورد تحريمه في القرآن الكريم، كما نقلنا عن العديد من المفسرين، وقد خالف د.السنهوري اتفاق الفقهاء على أن ربا الديون هو ربا الجاهلية الذي لم تعرف العرب سواه.

كما ذهب السنهوري إلى جواز أن يستر عقد القرض عقد ربا بفائدة، وهو بذلك يخالف إجماع الفقهاء على تحريم ربا الديون، وعلى أن القرض الذي يجر منفعة هو من الربا المحرم.

الإجماع على تحريم ربا الديون

نقل العديد من الفقهاء إجماع أهل العلم على تحريم ربا الديون، ومن هؤلاء الفقهاء: حيث قال ابن عبد البر القرطبي في كتابه "الكافي": "... أجمع العلماء من السلف والخلف أن الربا الذي نزل القرآن بتحريمه هو أن يأخذ صاحب الدين لتأخير دينه بعد حلوله عوَضًا عينًا أو عرضًا، وهو معنى قول العرب إما أن تقضي وما أن تُربي، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الذهب بالذهب ربا إلا هاء وهاء، والورق بالورق ربا إلا هاء وهاء، والذهب بالورق ربا إلا هاء وهاء.." (الكافي في فقه أهل المدينة: ج٢، ص٦٣٣).

وابن رشد القرطبي في بداية المجتهد قسَّم الربا إلى قسمين: قسم أسماه ربا البيوع، وهذا يضم ربا النسيئة وربا الفضل، أما القسم الثاني فهو الربا فيما تقرر في الذمة، والذي يشمل ربا الديون والذي سماه ربا الجاهلية، ونقل ابن رشد الإجماع على تحريمه (بداية المجتهد ونهاية المقتصد: ج٣، ص١٤٨).

وابن المنذر فيما ينقله عنه ابن قدامة المقدسي في كتابه "المغني" الإجماع على تحريم اشتراط الزيادة في القرض بغير خلاف، وأن المسلف إذا شرط على المستسلف زيادة أو هدية فأسلف على ذلك، أن أخذ الزيادة على ذلك ربا (المغني لابن قدامة: المسألة ٣٢٦٣، ج٤، ص٢٤٠).

Upload by : altawhedmag.com

الإجماع على تحريم المنفعة في القرض

ورد النهي عن كل منفعة في القرض في حديثين عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ أولهما عن أنس بن مالك، وثانيهما عن علي بن أبي طالب: "كل قرض جر منفعة فهو ربا" ضعيف من حيث الإسناد كما ذكر العجلوني في كشف الخفاء ومزيل الإلباس حرف الكاف، ج٢، ص١٤٨، ح١٩٩١.

الأحاديث التي وردت في تحريم المنفعة في القرض معناها يصح مقيدًا، ولا يصح مطلقًا، فيصح بتقييد الزيادة بكونها مشروطة، أما لو زاد المقترض من تلقاء نفسه وعن طيب خاطر ومن غير اشتراط فليس بحرام ولا يندرج تحت الربا؛ لأنه ثبت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه استقرض ووفى زيادة على ما استقرض.

وعلى الرغم من عدم صحة الحديث فقد انعقد الإجماع على العمل بمضمون هذا الحديث، واستفاض النقل عن الصحابة وعن التابعين بأن الزيادة المشروطة محرمة، لكونها تجمع بين ربا الفضل والنسيئة، ورد تحريم القرض الذي يجر منفعة عن عدد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم: عبد الله بن سلام، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وفضالة بن عبيد.

فقد أورد البخاري في صحيحه قول عبد الله بن سلام لأبي بردة (عامر بن عبد الله بن قيس وهو: ابن أبي موسى الأشعري): "إنك في أرض الربا فيها فاش، إذا كان لك على رجل حق، فأهدى إليك حمل تبن، أو حمل شعير، أو حمل قت، فلا تأخذه فإنه ربا".

وأخرج البيهقي عن ابن سيرين عن عبد الله بن مسعود، أنه سُئل عن رجل استقرض من رجل دراهم، ثم إن المستقرض أعطى المقرض ظهر دابته، فقال عبدالله: ما أصاب من ظهر دابته فهو ربا، قال أبو عبيد: يذهب إلى أنه قرض جر منفعة.

وأورد البيهقي عن عن زر بن حبيش، قال: قلت لأبي بن كعب: يا أبا المنذر إني أريد الجهاد فآتي العراق فأقرض، قال: "إنك بأرض الربا فيها كثير فاش؛ فإذا أقرضت رجلا فأهدى إليك هدية، فخذ قرضك واردد إليه هديته". كما أورد البيهقي عن فضالة بن عبيد صاحب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "كل قرض جر منفعة فهو وجه من وجوه الربا".

ورد عن جمع كبير من السلف تحريم كل منفعة في القرض، حيث ورد ذلك عن وكيع بن الجراح، وسفيان الثوري، والمغيرة بن مقسم النخعي، ومحمد بن سيرين، وابراهيم النخعي، وقتادة.

وفي مصنف عبد الرزاق الصنعاني يروي لنا ما يفيد تحرُّج السلف من أن يأكل الدائن من طعام مدينه، حيث أورد عن إبراهيم النخعي أن علقمة بن قيس النخعي قال له: "إذا نزلت على رجل لك عليه دَيْن فأكلت عليه فاحْسبْ له ما أكلت عنده". إلا أن إبراهيم كان يقول: "إلا أن يكون معروفًا كانا يتعاطيانه قبل ذلك". ومن ثَم فالعمل عند الفقهاء على أن حديث "كل قرض جر نفعًا فهو ربا"، وإن كان ضعيف سندًا إلا أن الإجماع منعقد على العمل بمعناه؛ لكون هذه المعاملة صورة من صور ربا الديون المحرم بالقرآن والسنة والمجمع من سائر الفقهاء على تحريمه.

وقد ذكر ابن المنذر في كتابه "الإقناع" إجماع أهل العلم على تحريم المنفعة في القرض، فقال: "... أجمع كل مَن يُحفظ عنه من أهل العلم على أن استقراض الدنانير والدراهم والحنطة والشعير والتمر والزبيب، وكل ما له مثل من الأطعمة المكيل منها والموزون جائزة، دل خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن استلاف الحيوان جائز، وإذا استقرض الرجل من الرجل قرضًا مما يجوز أن يقرض فرد عليه مثله فهو جائز، وللمقرض أخذ ذلك، ولا يحل أن يشترط عليه إذا أقرضه هدية أو هبة أو زيادة، فإن فعل ذلك كان ربًا لا يحل للآخذ ولا للمعطي، وإن رد عليه أفضل منه على غير شرط فلا بأس به، ويكره أن يهدي المستقرض للمقرض هدية بسبب

Upload by : altawhedmag.com

قرضه، وان كانت عادتهما قد جرت بهدايا فلا بأس أن يمضيا على عادتهما..." الإقناع لابن المنذر ج٢، ص٥٧٨.

وتجدر الإشارة إلى أن الفقرة ١٤/أ من المادة ٧٧ من قانون نظام العاملين المدنيين بالدولة رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٨ كانت تنص على أن يحظر على العامل بالذات أو بالواسطة "قبول أيّ هدايا أو مكافأة أو عمولة أو قرض بمناسبة قيامه بواجبات وظيفته". وهو ما يعني أن القانون نفسه حظر القرض الذي يجر منفعة على الموظف العام.

سبب إغفال بعض الفقهاء ذكر ربا الديون عند الحديث عن الربا

اتفق أئمة المذاهب الأربعة في أن للربا ثلاثة أنواع: ربا الفضل، وربا النسيئة، وربا الديون، وان كان معظم الفقهاء لم يذكروا ربا القرض في تقسيمهم للربا لأنهم تناولوا الربا في كتاب البيوع؛ لأنهم أرادوا الربا الذي يقع في البيوع، وهو الربا الذي تريد كتب الفقه أن تذكر أحكامه الخاصة من وجهة نظر المدرسة الفقهية التي ينتمي المصنف إليها.

ولذا حينما ننظر في كتاب البيوع نجد بابًا خاصًا بالربا، وهو الربا الذي اختلفوا في علته، وهو الربا الذي يحدث في البيوع، أما النوع الذي لم يختلفوا فيه وهو ربا الديون فقد أفردوا له بابًا خاصًا به هو باب القرض.

والذي دعا الفقهاء إلى الفصل بين ربا القرض وبين ربا البيوع أنهم رأوا أن ربا القرض أو ربا الدين إنما هو أصل مستقل بذاته يختلف عن ربا البيوع، فربا القرض يقع في كل مال؛ ربويًا كان أم غير ربوي، أما ربا الفضل والنسيئة فيقع بالإجماع في الأصناف الستة الواردة في الأحاديث، مع اختلافهم في العلة التي تمتد بها إلى غير هذه الأصناف.

كما أن التأخير مغتفر في القرض بل إن قوام القرض وفائدته في التأخير، مع أن القرض يقع غالبًا في المال الربوي، حال أن النَّساء ممنوع في بيع الأصناف الربوية سواء بجنسها أم بغير جنسها.

وقد ذهب بعض الفقهاء إلى النص على ربا القرض كنوع مستقل ولكنه قال: يمكن رده لربا الفضل، ففي مغني المحتاج ينقل الخطيب الشربيني عن الزركشي أنه قال-وهو يذكر أصناف الربا الثلاثة عند الشافعية- وزاد المتولي من فقهاء الشافعية ربا القرض المشروط فيه جر نفع، مبينًا أنه يمكن رده لربا الفضل (مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: للخطيب الشربيني، ج٢، ص٣٦٣).

والى ذلك ذهب أيضًا الشيخ سليمان الجمل في حاشيته؛ حيث أكد أن ربا القرض هو من ربا الفضل، وقال: "... وانما جعل ربا القرض من ربا الفضل مع أنه ليس من هذا الباب، لأنه لما شرط منفعة القرض، كان بمنزلة أنه باع ما أقرضه بما يزيد عليه" (فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل ج٣، ص٤٥)، ومعنى كلامه أن شرط المنفعة يخرج هذا العقد عن دائرة التبرع والإحسان ليدخله في دائرة المعاوضة، فيتحقق حينئذ ربا الفضل.

ومن ثم يتبين أن عدم ذكر هؤلاء الفقهاء لربا الدين عند الحديث عن أنواع الربا إما أن يكون لأنهم يتحدثوا عن ربا البيوع فقط، وأنهم تحدثوا عن ربا الديون عند الحديث عن القرض، واما لأنهم رأوا أن ربا الدين يندرج بالضرورة تحت ربا الفضل وأنه يندرج تحت هذا النوع من الربا مع اتفاقهم جميعًا على تحريم ربا الديون.

وعلى ذلك يتضح عدم صحة ما ذهب إليه د. السنهوري من أن الربا لا يكون إلا في عقود البيع فقط، وأن عقد القرض ليس من العقود الربوية. وأنه بذلك خالف القرآن الذي حرم ربا الديون (حيث لم يرد ربا البيوع إلا في السنة)، كما أنه صادم إجماع الفقهاء على تحريم ربا الديون، فضلًا عن القرض الذي يجر منفعة.

نسأل الله تعالى العصمة من الزلل والسداد والرشد في القول والعمل.

Upload by : altawhedmag.com

الحلقة (١٨)

الألفاظ المحدثة الموهمة في باب الصفات بين الإجمال والاستفصال

في مواصلته لهدم ما بناه متأخرو الأشعرية من أصول تتعلق بـ(معرفة الله بصفاته)...

أبو الحسن الأشعري يُبطل في مقدمة (رسالته إلى أهل الثغر) ما اتكأوا عليه في (دليل الحدوث)

إعداد: أ.د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد: فعلى إثر بيان فساد ما جنح إليه القائلون بـ(الأعراض والجواهر وحلول الحوادث)، شرع أبو الحسن الأشعري يقيم الأدلة ويسوق الإجماع على إثبات جميع صفات الله تعالى الخبرية والفعلية، خلافًا لمُدَّعي الانتساب إليه.. فقد ذكر في مقدمة رسالته لأهل الثغر أنه «لما جعل الله أخبار نبيه طريقًا إلى المعارف بما كلَّفهم؛ إلى آخر الزمان، حَفِظ أخباره في سائر الأزمنة ومَنَع من تطرق الشُّبه عليها، حتى لا يروم أحدٌ تغيير شيء منها أو تبديل معنى كلمة قالها؛ إلا كشف الله سرَّه وأظهر في الأمة أمره، وجعل ما حفظه من ذلك وجمع القلوب عليه؛ حُجَّة على من تعبَّد بعدَه بشريعته، وأكمل لجميعهم طرق الدين وأغناهم عن التطلع إلى غيرها من البراهين، وليس يجوز أن يخبر الله عن إكماله الدين؛ مع الحاجة إلى غير ما أكمل لهم الدين به، وبيَّن صلى الله عليه وسلم معنى ذلك في حجَّة الوداع لمن كان بحضرته من الجمّ الغفير من أمّته عند اقتراب أجله ومفارقته لهم بقوله: (اللهم هل بلغت؟)».

فلو كنا نحتاج مع ما كان منه في معرفة ما دعانا إليه؛ إلى ما رتَّبه أهلُ البدع من طرق الاستدلال لما كان مُبلِّغًا، إذ كنا نحتاج في المعرفة بصحة ما دعانا إليه إلى علم ما لم يُبيِّنه لنا من هذه الطرق التي ذكروها، ولو كان هذا كما قالوا؛ لكان ما دعا إليه بمنزلة اللغو ولعارضه الكفار والمنافقون، ولكنهم لم يجدوا سبيلًا إلى الطعن لأنه لم يَدَعْ شيئًا مما تَهُمُّ الحاجة إليه في معرفة سائر ما دعاهم إلى اعتقاده؛ إلا وبيَّنه لهم، ويزيد هذا وضوحًا قوله: (إني قد تركتكم على مثل الواضحة ليلها كنهارها).

ثم مضى محمودًا بعد إقامته الحجة وتبليغ الرسالة والنصيحة لسائر الأمة؛ حتى لم يُخوِّج أحدًا من أمته البحث عن شيء قد أغفله هو مما ذكره لهم، ولَعَمْري إن في الكتاب والسنة الشفاء من كل أمر مشكل والبُرء من كل داء معضل، وإن في حراستهما من الباطل آية لمن نصح نفسه ودلالة لمن كان الحق قصده».

١- الأشعري يرفض طريقة ابن كلاب التي يتشبث بها الأشعرية:

لقد رأى الأشعري أن مذهب ابن كلاب القطان لا يُوافق مذهب السلف فيما يتعلق بإثبات الصفات

Upload by : altawhedmag.com

الفعلية التي نفتها الأشعرية تبعًا للكلابية التي تلقته بدورها عن المعتزلة الذين عرف عنهم هذا القول: بدعوى منع حلول الحدوث بذاته تعالى، وبحجة تنزيه الله في صفاته.. على أن قول الأشعري في مقالات الإسلاميين ص٢٩٨ عن أصحاب ابن كلاب: (إنهم يقولون بأكثر ما ذكرناه عن أهل السنة)، إنما يعني به: ما وافق الكلابية فيه أهل السنة من إثبات ما نفاه المعتزلة من أسماء الله وصفات المعاني، غير أن الأشعري زاد على ذلك: ما أقره السلف من نفي مجمل وإثبات مفصل لسائر ما ثبت لله من الصفات الخبرية والفعلية، وهو ما استقر عليه أمره بعد تراجعه عن مذهب شيخه ابن كلاب.. فقد ذكر أن "أهل السنة وأصحاب الحديث.. لم يقولوا شيئًا إلا ما وجدوه في الكتاب أو جاءت به الرواية عن رسول الله". كذا في (مقالات الإسلاميين) ص٢١١، وبنحوه في ص٢١٧.

وممن تبع الأشعريَّ في هذا وصرح به: الحافظ السِّجزي (ت٤٤٤)، قال في رسالته إلى أهل زبيد ص١٦٣: "ينبغي أن يُتأمل قولُ الكُلابية والأشعرية في الصفات، ليُعلم أنهم غير مثبتين إلهًا في الحقيقة، وأنهم يتخيَّرون من النصوص ما أرادوه؛ ويتركون سائرها ويخالفونه".

والسؤال الذي يفرض نفسه: أي عاقل يرتضي في أمور الاعتقاد مذهبًا قد رجع عنه صاحبه وردَّه وغيرُه؛ وأثبت بطلانه؟ وهل يسوغ لعاقل أن يقول: إنه طالما كان الأمر كذلك فقد ضل أبو الحسن طريقه بعد هدًى، أو يقول بكل شجاعة: إنه على مذهب الكلابية والجهمية؛ وأن هذا هو الصحيح؟

٢- الأشعري ينقض ما جنح إليه الأشعرية تبعًا للكلابية من القول بتعطيل الصفات الفعلية ويسوق الإجماع على بطلانه:

وبعد رفضه لطريقة ابن كلاب التي تشبث بها الأشعرية ولا يزالون، جعل أبو الحسن يعلن اتباعه لمنهج أهل السنة وسلف الأمة: القاضي: بإثبات جميع ما وصف الله به نفسه دون ما تأويل ولا تفويض لمعناه.. فقد أعقب ما سبق أن ذكرناه له في رسالة أهل الثغر بقوله: «وإذ قد بان استقامة طرق استدلال السلف وصحة معارفهم، فلنذكر ما أجمعوا عليه من الأصول التي نبهوا بالأدلة عليها، وأمروا في وقت النبي بها».

وطفق يقول في (الإجماع الأول): «اعلموا أن مما أجمعوا على اعتقاده مما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إليه ونبههم على صحته: أن العالم بما فيه من (أجسامه وأعراضه)، مُحْدَث، لم يكن ثم كان، وأن لجميعه مُحْدِثًا واحدًا أحدث جواهره وأعراضه، وخالف بين أجناسه، وأنه لم يزل قبل أن يخلقه: واحدًا عالمًا قادرًا مريدًا متكلمًا، له الأسماء الحسنى والصفات العلا، وأنهم عرفوا ذلك بما نبههم الله عليه، وبيَّن لهم وجه الدلالة فيه».

ويقول في (الإجماع الثاني): «وأجمعوا على أنه عز وجل غير مُشبِه لشيء من العالم؛ وقد نبَّه على ذلك بقوله: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» (الشورى:١١) وبقوله: «وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ» (الإخلاص:٤)، وإنما كان ذلك كذلك؛ لأنه لو كان شبيهًا لشيء من خلقه لاقتضى من الحدث والحاجة إلى مُحدث له: ما اقتضاه ذلك الذي أشبهه، أو اقتضى ذلك قدم ما أشبهه من خلقه، وقد قامت الأدلة على حدث جميع الخلق واستحالة قدم الخلق».

ويقول في الإجماع (الرابع): «وأجمعوا على إثبات حياة لله لم يزل بها حيًّا؛ وعلمًا لم يزل به عالمًا؛ وقدرة لم يزل بها قادرًا؛ وكلامًا لم يزل به متكلمًا؛ وإرادة لم يزل بها مريدًا؛ وسمعًا وبصرًا لم يزل بهما سميعًا بصيرًا، وعلى أن شيئًا من هذه الصفات لا يصح أن يكون مُحْدَثًا؛ إذ لو كان شيئًا منها محدثًا لكان تعالى قبل حدثها موصوفًا بضدها، ولو كان ذلك؛ لخرج عن الإلهية وصار إلى حكم المُحْدَثين الذين يلحقهم النقص ويختلف عليهم صفات الذم والمدح، وهذا يستحيل على الله، وإذا استحال ذلك عليه وجب أن يكون لم يزل بصفة الكمال؛ إذ كان لا يجوز عليه الانتقال من حال إلى حال».

ويقول في الإجماع (الخامس): «وأجمعوا على أن صفته لا تشبه صفات المُحْدَثين، كما أن نفسه لا تُشبه أنفس المخلوقين، واستدلوا على ذلك بأنه لو لم يكن له تعالى هذه الصفات لم يكن

Upload by : altawhedmag.com

موصوفًا بشيء منها في الحقيقة، من قبل أن من ليس له حياة لا يكون حيًا، ومن لم يكن له علم لا يكون عالمًا في الحقيقة.. وكذلك الحال في سائر الصفات: ألا ترى من لم يكن له فعل لم يكن فاعلًا في الحقيقة؛ ومن لم يكن له إحسان لم يكن محسنًا، ومن لم يكن له كلام لم يكن متكلمًا في الحقيقة، وأن من وُصف بشيء من ذلك مع عدم الصفات التي توجب هذه الأوصاف له: يكون وصفه مجازًا أو كذبًا؟، ألا ترى أن وصف الله للجدار بأنه «يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ» (الكهف:٧٧)، لما لم يكن له إرادة في الحقيقة كان مجازًا؟

ولا يجب إذا أثبتنا هذه الصفات له سبحانه على ما دلت عليها: العقول واللغة والقرآن والإجماع، أن تكون محدثة لأنه لم يزل موصوفًا بها ولا يجب أن تكون أعراضًا؛ لأنه عز وجل ليس بجسم، وإنما توجد (الأعراض) في (الأجسام) ويدل بأعراضها فيها وتعاقبها عليها على حدثها.. كما لا يجب أن تكون نفس الباري جسمًا أو جوهرًا أو محدودًا أو غير ذلك مما لا يجوز عليه من صفاتنا؛ لمفارقته لنا، فلذلك لا يجوز على صفاته ما يجوز على صفاتنا.

ولا يجب إذا لم تكن هذه الصفات غيره أن تكون نفسه، لاستحالة كونه حياة أو علمًا أو قدرة؛ لأن من كان كذلك لم يتأت منه الفعل، وذلك أن الفعل يتأتى من الحي القادر العالم دون الحياة والعلم والقدرة».

ويقول في الإجماع (السادس): «وأجمعوا على أن أمره وقوله: غير مُحدث ولا مخلوق، وقد دل على صحة ذلك بقوله: «أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ» (الأعراف: ٥٤)؛ ففرّق بين خلقه وأمره، وقال: «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ» (يس:٨٢)، فبيّن بذلك أن الأشياء المخلوقة تكون شيئًا بعد أن لم تكن؛ بقوله وإرادته، وأن قوله غير الأشياء المخلوقة».

ويقول في الإجماع (السابع): «وأجمعوا على أنه يسمع ويرى، وأن له تعالى يدين مبسوطتين، وأن الأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير أن يكون جوارح، وأن (يديه تعالى) غير (نعمته)، وقد دل على ذلك: تشريفه لآدم عليه السلام حيث خلقه بيده، وتقريعه لإبليس على الاستكبار عن السجود بقوله: «مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ» (ص:٧٥)».

ويقول في الإجماع (الثامن): «وأجمعوا على أنه تعالى يجيء يوم القيامة والملك صفًا صفًا لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها.. وليس مجيئه حركة ولا زوالًا، وإنما يكون المجيء حركة وزوالًا إذا كان الجائي جسمًا أو جوهرًا، فإذا ثبت أنه تعالى ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه نقلة أو حركة، ألا ترى أنهم لا يريدون بقولهم: (جاءت زيدًا الحمى) أنها تنقلت إليه أو تحركت من مكان كانت فيه إذ لم تكن جسمًا ولا جوهرًا، وإنما مجيئها إليه وجودها به، وأنه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا وليس نزوله نقلة لأنه ليس بجسم ولا جوهر، وقد نزل الوحي على النبي عند من خالفنا».

ويقول في الإجماع (التاسع): «وأجمعوا على أنه يرضى عن الطائعين له؛ وأنه يحب التوابين ويسخط على الكافرين ويغضب عليهم، وأنه تعالى فوق سمواته على عرشه دون أرضه، وقد دل على ذلك بقوله: «أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ» (الملك:١٦)، وقوله: «الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ» (طه:٥)، وليس (استواؤه على العرش): (استيلاء)، كما قال أهل القدر -والأشعرية تبعًا- لأنه لم يزل مستوليًا على كل شيء، وأنه يعلم السر وأخفى ولا يغيب عنه شيء في السموات والأرض حتى كأنه حاضر مع كل شيء، وقد دل على ذلك بقوله: «وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ» (الحديد:٤)، وفسر ذلك أهل العلم ذلك: بأن علمه محيط بهم حيث كانوا.

وأن له عز وجل كرسيًا دون العرش وقد دل على ذلك بقوله: «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» (البقرة:٢٥٥) وبأحاديث: (إن الله يضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه)».

ويقول في الإجماع (العاشر): «وأجمعوا على وصف الله بجميع ما وصف به نفسه ووصفه به نبيه من غير اعتراض فيه ولا تكيُّف له، وأن الإيمان به واجب وترك التكييف له لازم».

ويقول في الإجماع (الحادي عشر): «وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله يوم القيامة بأعين

Upload by : altawhedmag.com

وجوههم: على ما أخبر به في قوله: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» (القيامة:٢٢، ٢٣)، وقد بيّن النبي معنى ذلك ودفع كل إشكال فيه بقوله للمؤمنين: (ترون ربكم عيانًا)، وقوله: (ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامُّون في رؤيته)، فبين أن رؤيته بأعين الوجوه، فشبه الرؤية بالرؤية، وليس يجب إذا رأيناه تعالى أن يكون شبيهًا لشيء مما نراه، كما لا يجب إذا علمناه أنه يشبه شيئًا نعلمه»، ومعلوم أن متأخري الأشعرية على أنه تعالى يُرى لا من جهة، وذلك نفيٌ في الحقيقة لرؤيته.

ويقول في (الإجماع الـ (الـ١٩)): «وأجمعوا على أنه خالق لجميع الحوادث وحده؛ لا خالق لشيء منها سواه، وقد زجر من لم يعتقد ذلك بقوله: «هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ» (فاطر:٣)، كما زجر من ادّعى إلهًا غيره بقوله: «مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ» (الأنعام:٤٦)».

ويقول في الإجماع (الـ٣٤، ٣٥): وأجمعوا على أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا جميع الخلق إلى معرفة الله وإلى نبوته. وأوضح لهم الأدلة عليه وبين لهم الطريق إليه، وبين لهم بذلك وقبله: طرق المعارف بحدثهم ودلهم على وجود المحدث لهم، ودلهم على صدقه فيما أنبأهم به عن ربه.

٣- ويواصل رده على معتقد الأشعرية فيقول:

في الإجماع (الـ٤٣): وأجمعوا على التصديق بجميع ما جاء به رسول الله في كتاب الله؛ وما ثبت به النقل من سائر سنته؛ ووجوب العمل بمحكمه والإقرار بنص مشكله ومتشابهه، وردّ كل ما لم يُحط علمًا بتفسيره -يعني: من جهة الكيف- إلى الله مع الإيمان بنصه، وأن ذلك لا يكون إلا فيما كُلفوا الإيمان بجملته دون تفصيله.

ويقول في الإجماع (الخمسين): وأجمعوا على ذم سائر أهل البدع والتبري منهم، وهو الروافض والخوارج والمرجئة والقدرية، وترك الاختلاط بهم لما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، وما أمر به من الإعراض عنهم في قوله تعالى: «وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ» (الأنعام: ٦٨)، وما روي عن النبي من أن (الخوارج كلاب أهل النار)، ومن قوله: (صنفان لا تنالهما شفاعتي: المرجئة والقدرية)، وقوله: (القدرية مجوس هذه الأمة).

ويقول في الإجماع (الـ٥١ والأخير): وأجمعوا على النصيحة للمسلمين والتولي بجماعتهم، وعلى التوادد في الله، والدعاء لأئمة المسلمين والتبرّي ممن ذمّ أحدًا من أصحاب رسول الله وأهل بيته وأزواجه، وترك الاختلاط بهم والتبري منهم» ا.هـ

ومعلوم بالضرورة أن الإجماع -وبخاصة إذا كان من قبَل الصحابة والتابعين وتابعيهم- حُجة في دين الله، ومصدر من مصادر التشريع بعد الكتاب والسنة، وبذا يختم الأشعري كلامه قائلًا: «فهذه هي الأصول التي مضى الأسلاف عليها، واتبعوا حكم الكتاب والسنة بها، واقتدى بهم الخلف الصالح في مناقبها» انتهى بتصرف واختصار.

تلكم هي مرجعية وعقيدة أبي الحسن الأشعري بنصها وفصّها وبأدلتها العقلية والنقلية، وهي عقيدة السلف وعليها إجماعهم، وما رأيت -فيما أعلم- أحدًا من أئمة أهل السنة صفّها على هذا النحو وساق عليها الإجماع وحاجَّ بها الخلق جميعًا، بمثل ما فعل أبو الحسن الأشعري رحمه الله.

فلينظر كل امرئ مسلم غيور على دينه أين موطئ قدمه مما ذكر؛ إذ بقدر تمسكه بالإجماع وبالوحيَيْن؛ وعمله بذلك وتركه طرق الفلاسفة والمبتدعة، بقدر ما يكون من الصواب والعكس، وما أكثر من ضل الطريق في زماننا!، وإلا فأين ذلك ممن يدّعون شرف الانتساب إلى الأشعري والمخالفين له في زماننا وهو منهم -بما سقناه له هنا- براء؟، بل وأين ذلك من معاهد العلوم الشرعية المؤتمنة على أبنائنا، والتي سيسألها ربه عن هذه الأمانة، ومن قبْل عن أمانة العلم وصحة المعتقد؟

اللهم إنا لا نملك إلا أن نقول: اللهم هل بلغنا؟ اللهم فاشهد.

وللحديث صلة بإذن الله.

Upload by : altawhedmag.com

التثاؤب: أحكام وآداب

إعداد: الشيخ صلاح عبد الخالق

الحمد على نعمة الإسلام، والصلاة على سيد الأنام.

وبعد: فإن من كمال هذا الدين وتمام رحمته أنه جاء بأحكام وآداب تشمل حياة المسلم كلها، صغيرها وكبيرها، حتى ما قد يراه الناس أمرًا يسيرًا كالتثاؤب. فقد شرع الإسلام للمسلم آدابًا راقية تضبط تصرفاته في هذا الفعل الفطري؛ حمايةً من الشيطان، وحفاظًا على صورة المسلم وهيئته، وتعظيمًا للأدب بين يدي الله وعلى مائدة العبادات.

أولاً: معنى التثاؤب:

تثاءب الشَّخص: فتح فمه وأطبقه بحركة لا إراديّة نتيجة كسل أو نُعاس أو ملل. «معجم اللغة العربية المعاصرة» (١/ ٣٠٩).

ثانيًا: الله تعالى يكره التثاؤب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ، فَحَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يُشَمِّتَهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ؛ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ» «صحيح البخاري (٦٢٢٣).

ثالثًا: التثاؤب من الشيطان:

(١) التثاؤب من فعل الشيطان: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَكْظِمْ مَا اسْتَطَاعَ» ومسلم (٢٩٩٤).

(٢) الشَّيْطَانُ يُحِبُّ التَّثَاؤُبَ: «إضافة التَّثَاؤُب

Upload by : altawhedmag.com

إلى الشَيْطان بمعنى إضافة الرضا والإرادة؛ أي: إنّ الشَيْطان يُحبُ أنْ يرى الإنسان متثائبًا؛ لأنها حالة تتغيّر فيها صورتُه فيضحكُ منه، لا أنّ المُراد أنّ الشَيْطان فعل التثاؤب. وقال ابن العربي: قد بيّنّا أنّ كلّ فعل مكروه نسبهُ الشرعُ إلى الشَيْطان؛ لأنّه واسطتُه، وأنّ كلّ فعل حسن نسبهُ الشرعُ إلى المَلك؛ لأنّه واسطتُه. قال: والتثاؤبُ من الامتلاء وينشأ عنه الكسلُ وذلك بواسطة الشَيْطان». «فتح الباري لابن حجر» (١٠/ ٦١٢)

(٣) الشيطان يضحك من المتثائب:

«(قال آه آه) حكايةُ صوت المتثائب (فإنّ الشَيْطان يضحكُ من جوفه) يضحكُ منه أي يرضى بتلك الغفلة وبدخوله فمه للوسوسة». «تحفة الأحوذي» (٨/ ١٧).

«الشيطان يضحك من جوفه) من جوف المتثائب؛ لأنه قد وجد سبيلاً إلى الدخول إلى جوفه؛ فلذا أمر برده ما استطاع». «التنوير شرح الجامع الصغير» (٧/ ٣٨٧).

(٤) الشيطان يدخل في جوف المتثائب: عن أبي سعيد الخُدري، قال: قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: «إذا تثاءب أحدُكم، فليُمسك بيده على فيه، فإنّ الشَيْطان يدخُل». «صحيح مسلم» (٢٩٩٥).

إنّ الشَيْطان يدخُل فيحتملُ أنْ يُراد به الدُخولُ حقيقةً، وهو وإنْ كان يجري من الإنسان مجرى الدّم لكنّه لا يتمكّن منه ما دام ذاكرًا الله تعالى. والمتثائبُ في تلك الحالة غيرُ ذاكر فيتمكّن الشَيْطانُ من الدُخول فيه حقيقةً، ويحتملُ أنْ يكون أطلقَ الدُخول وأراد التمكّن منه؛ لأنّ من شأن من دخل في شيء أنْ يكون متمكنًا منه. «فتح الباري لابن حجر» (١٠/ ٦١٢).

عن صفيّة بنت حُيي، قالت: قال النّبيُ صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الشَيْطان يجري من الإنسان مجرى الدّم» رواه البخاري (٣٢٨١)، ومسلم (٢١٧٥).

رابعًا: التثاؤب أثناء العبادات:

(١) حال قراءة القرآن: «إذا تثاءب حال قراءة القرآن أمسك عن القراءة. ومن الأشياء المفيدة: أن الإنسان المصلي أو قارئ القرآن إذا تثاءب في أثناء قراءة القرآن فعليه أن يكفّ عن القراءة حتى ينتهي من مقاومة التثاؤب؛ لأن التثاؤب يُغيّر نظم القراءة، وربما تتغير الحروف». «سلسلة الآداب للمنجد» (١٩/ ١١).

(٢) التثاؤب في الصلاة: عن أبي هُريرة، أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «التثاؤبُ في الصلاة من الشَيْطان، فإذا تثاءب أحدُكم فليكظم ما استطاع» سنن الترمذي (٣٧٠)، وصحيح الجامع (٣٠١٢).

للشَيْطان غرضٌ قويٌ في التشويش على المُصلّي في صلاته ينبغي كظمُ التثاؤب في كلّ حالة، وإنّما خصّ الصلاة لأنها أولى الأحوال بدفعه لما فيه من الخروج عن اعتدال الهيئة واعوجاج الخلقة. (فتح الباري (١٠/ ٦١٢).

خامسًا: العلاج الشرعي (الإيماني) للتثاؤب:

جاءت السنة النبوية بأدوية سلوكية وروحية للتثاؤب؛ لأن التثاؤب من الشيطان كما أخبر النبي صلّى الله عليه وسلّم.

(١) كظم التثاؤب قدر المستطاع:

عن أبي هُريرة، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «التثاؤبُ من الشَيْطان، فإذا تثاءب أحدُكم فليكظم ما استطاع» صحيح مسلم

Upload by : altawhedmag.com

(٢٩٩٤).

قال العلماء: أمر بكظم التثاؤب وردّه، ووضع اليد على الفم؛ لئلا يبلغ الشيطان مُرادهُ من تشويه صورته ودُخوله فمهُ وضحكهُ منهُ، والله أعلم. «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ١٢٢).

وقوله: "إنّ التثاؤب من الشيطان"، معناه: إنّما يكونُ في حال العبادة من الصلاة وغيرها من تلاوة أو ذكر أو دُعاء، لا في مُطلق الحالات "فإذا تثاءب": أي: شرع في التثاؤب "أحدكُم فليكظم" أي: يدفعهُ "ما استطاع": أي: بضمّ الشفتين، أو بوضع اليد أو الكُم على الفم، وليضع "يدهُ": الظاهرُ اليُمنى (على فيه)، أي: بدل فليكظم ما استطاع. مرقاة المفاتيح (٢/ ٧٨٧).

(٢) الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم:

قال تعالى: «وإمّا ينزغنّك من الشّيطان نزغٌ فاستعذ بالله إنّهُ سميعٌ عليمٌ» (الأعراف: ٢٠٠)؛ فإذا أحسّ المسلم بتكرار التثاؤب خصوصًا أثناء الصلاة أو الذكر، فليستعذ بالله؛ لأن الشيطان هو الذي يبعث الكسل.

عن أبي العلاء، أنّ عُثمان بن أبي العاص، أتى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فقال: يا رسول الله إنّ الشّيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ذاك شيطانٌ يُقال لهُ خنزب، فإذا أحسستهُ فتعوّذ بالله منهُ، واتفل على يسارك ثلاثًا» قال: ففعلتُ ذلك فأذهبهُ الله عنّي». صحيح مسلم (٢٢٠٣). وقيل: أمر المتثائب بالتفل لطرح ما عسى أن يكون ألقاه الشيطان في فيه، أو لما مسّه من ريقه إن كان دخل. «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (٨/ ٥٤٤).

(٣) الاعتدال في الطعام:

عن مقدام بن معدي كرب، قال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًا من بطن. بحسب ابن آدم أكلاتٌ يُقمن صُلبهُ، فإن كان لا محالة فثُلثٌ لطعامه وثُلثٌ لشرابه وثُلثٌ لنفسه». «سنن الترمذي» (٢٣٨٠)، صحيح الجامع (٥٦٧٤).

«التثاؤب يكونُ غالبًا مع ثقل البدن وامتلائه واسترخائه وميله إلى الكسل. والمُراد التحذير من السبب الذي يتولّد منهُ ذلك، وهو التوسّع في المآكل وإكثار الأكل. «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ١٢٢).

الإفراط في الأكل يُورث الكسل والتثاؤب، والاعتدال في الطعام والنوم يُعين على النشاط ويقلل من التثاؤب.

(٤) الدعاء:

عن زيد بن أرقم، قال: لا أقولُ لكُم إلّا كما كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: كان يقولُ: «اللهمّ إنّي أعوذُ بك من العجز، والكسل، والجُبن، والبُخل، والهرم، وعذاب، القبر اللهمّ آت نفسي تقواها، وزكّها أنت خيرُ من زكّاها، أنت وليُّها ومولاها، اللهمّ إني أعوذُ بك من علم لا ينفعُ، ومن قلب لا يخشعُ، ومن نفس لا تشبعُ، ومن دعوة لا يُستجابُ لها». صحيح مسلم (٢٧٢٢).

الكسل والعجز من أسباب التثاؤب المفرط، والدعاء هذا يعالج أصل المشكلة، وهو ضعف الهمة.

نسأل الله الهداية والتوفيق.

Upload by : altawhedmag.com

هكذا يفعل الغلو بأهله!

إعداد: د. محمد عبد العزيز
رئيس تحرير المكاشر

الحمد لله وكفى، والصلاة على رسوله الذي اصطفى، ومن اتبع هديه واقتفى. وبعد: فإن الشريعة العلمية الاعتقادية التي بعث الله بها رسله إلى عبادة شريعة واحدة ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، تدعو إلى تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى، وهي الغاية الشرعية التي خلق الله الثقلين لأجلها؛ قال الله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات: ٥٦).

وأما الشرائع العملية التي بُعث بها المرسلون- وإن اختلفت تفاصيلها من أمة إلى أخرى- فإنها قائمة على العدل والرحمة والقسط في العمليات، والأخلاق، والسلوك، والمنهج، وهذه قاعدة عامة لا تخرج عنها شريعة من الشرائع، لا سيما الشريعة السمحة الخاتمة، وهي شريعة الإسلام؛ فإنها أكمل هذه الشرائع وأعدلها وأشملها، وهي الشريعة الباقية إلى قيام الساعة، المهيمنة على سائر الشرائع، قال الله تعالى: «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا» (المائدة: ٤٨).

وقال الله تعالى في وصف هذه الشريعة الخاتمة الناسخة المهيمنة على سائر الشرائع: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» (المائدة: ٣)؛ فهي شريعة تامة كاملة ارتضاها الله لعباده إلى قيام الساعة؛ فهي عدل الله في الأرض، وهي رحمة كلها، وحكمة كلها، وهي شريعة قائمة على أساس الحكم وقاعدة المصالح والعدل؛ لأنها مُنزلة من حكيم حميد.

قال ابن قيم الجوزية في إعلام الموقعين: «فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل، فالشريعة عدل الله بين عباده،

Upload by : altawhedmag.com

ورحمته بين خلقه، وظلّه في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله -صلى الله عليه وسلم- أتمّ دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهُداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقُه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل؛ فهي قرّة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح؛ فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكلُّ خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسومٌ قد بقيت لخَربت الدنيا وطُوِيَ العالم، وهي العصمة للنّاس وقوام العالم، وبها يمسك الله السموات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خرابَ الدنيا وطيَّ العالم؛ رفع إليه ما بقي من رسومها؛ فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب رحى الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة». (إعلام الموقعين: ٤/ ٣٧٣).

وكل خروج عن هذه الشريعة السمحة الغراء سواء بالإفراط والغلو أو التفريط والتساهل مذموم أهله، وفاعله داخل تحت الوعيد، والذي أريد أن أتناوله في هذه المقالة هو جانب خروج الغالين عن الشريعة فهو انحراف لا تنحصر صوره عبر التاريخ.

والغلو لغة: الارتفاع ومجاوزة القدْر.

وهو في الاصطلاح: مجاوزة الحد الشرعي، ويشهد لهذا التعريف قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود: ١١٢)؛ فجعل مجاوزة الحد وهو الطغيان خروج عن الاستقامة على الشريعة، وتوعد الخارج عن الشريعة بالتشديد والطغيان والغلو فقال: ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ (طه: ٨١)، فالطغيان: مجاوزة الحد الشرعي.

قال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١ / ٣٢٩): «والغلو: مجاوزة الحد بأن يُزاد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك».

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣ / ٢٧٨): «وأما الغلو: فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد».

أنواع الغلو في الدين:

والغلو في الدين يعود إلى نوعين في الجملة:

النوع الأول: الغلو الاعتقادي الكلي.

النوع الثاني: الغلو العملي الجزئي.

وكلا النوعين مذموم في الشرع، وصاحبه منحرف أشد الانحراف عن الصراط خارج عن الشريعة.

ومن صور الغلو الاعتقادي: غلو النصارى في رسول الله عيسى عليه السلام، وقد قال الله تعالى في ذمهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (النساء: ١٧١)؛ وقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٧٧)، فهذه صورة من صور الغلو الاعتقادي.

ومن صور الغلو العملي: غلوّ المشركين قبل البعثة في التحليل والتحريم، وقد قال الله تعالى في ذمهم: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (المائدة: ١٠٣).

والبحيرة: هي الناقة التي تلد خمسة بطون ويكون آخرها ذكرًا، فيشقّون أذنها ويُحرّمونها.

والسائبة: الناقة أو البقرة أو الشاة التي كانت تُترك وتُسيّب لآلهتهم فلا يُنتفع بها، وتُعفى من الركوب والانتفاع بها.

أما الوصيلة: من الأغنام، إذا ولدت أنثى، ثم أنثى، ثم أنثى، حتى تصل إلى عشر إناث متتابعات فتُسمَّى: "وصيلة" فيقولون: "وصلت أخاها"، ويحرمونها.

وأما الحام: فهو فحل الإبل الذي قد ضرب عشر إناث فيقال فيه: "حمى ظهره" فيحرمون ركوبه

Upload by : altawhedmag.com

أو تحميله شيئًا، فيُترك للآلهة.

فلما فعلوا ذلك غلوًا وطغيانًا وخروجًا عن الشرع، فحرّموا ما أحل الله وصرفوه لغيره؛ ذمهم الله أشد الذم.

حكم الغلو في الدين:

الغلو في الدين مُحرّم في الجملة، وقد حذرنا منه النبي-صلى الله عليه وسلم- أشد التحذير، فعن عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «إياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» (أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)).

والغلو في الدين نوعان:

- نوع مُحرّم غير مُخرج من الملة.
- ونوع محرم: مُكفر مُخرج من الملة.

وضابط النوع الأول-المحرّم غير المُخرج من الملة-: هو ألا يلزم من تجاوز حدود الله عز وجل بالزيادة عليها تكذيب بكتاب الله عز وجل، ولا بشيء مما أرسل به رسوله.

ومن أمثلته: التشديد على النفس في العبادات، وله أمثلة نهى عنها النبي-صلى الله عليه وسلم-، فمن ذلك:

١- حديث أنس بن مالك-رضي الله عنه- قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي-صلى الله عليه وسلم- فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها.

فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا.

فجاء رسول الله-صلى الله عليه وسلم- إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟!

أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سُنتي فليس مني» (أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (٣٣٨٤)).

٢- وعن أنس بن مالك-رضي الله عنه- قال: «دخل النبي-صلى الله عليه وسلم-فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي-صلى الله عليه وسلم-: لا، حُلوه؛ ليُصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد» (أخرجه البخاري (١١٥٠)، ومسلم (١٧٨١) (٢١٩-٧٨٤)).

٣- ومن الصور الاعتقادية غير المُكفرة على الراجح: غلوّ الخوارج الأولى، عن أبي سعيد-رضي الله عنه- قال: «بعث علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم- من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ، لم تُحصّل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع: إما علقمة وإما عامر بن الطفيل.

فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء؟!

قال: فبلغ ذلك النبي-صلى الله عليه وسلم- فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء.

قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال يا رسول الله: اتق الله.

قال-صلى الله عليه وسلم-: ويلك، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟!

قال: ثم ولى الرجل.

قال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟

قال: لا، لعله أن يكون يُصلي.

فقال خالد: وكم من مُصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه.

قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم.

قال: ثم نظر إليه وهو مُقفٍ، فقال-صلى الله

Upload by : altawhedmag.com

عليه وسلم-: «إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبًا، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. وأظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود». (أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (٢٤١٥)).

وضابط النوع الثاني-المُخرج من الملة-: هو ما كان تجاوز حدود الله بالزيادة فيه عائدًا بالإبطال على أمر مُجمع عليه، معلوم من الدين بالضرورة؛ أو ما كان عائدًا بالإثبات لأمر عُلم من الشرع إبطاله بالضرورة.

ومن أمثلته: القول بوحدة الوجود، أو الاتحاد والحلول، وهو مذهب فلسفي، ملخصه: أنه ليس هناك موجود إلا الله، فليس غيره في الكون، فالله والطبيعة حقيقة واحدة، والخالق والمخلوق شيء واحد في الحقيقة، وأن كل ما نراه في الكون هو مظاهر وتجليات لهذه الحقيقة الإلهية الواحدة التي ليس لها وجود خارجها، فهذا القول بهذا التعريف كُفر مُخرج من الملة، مخالف للمعلوم من الدين بالضرورة.

وهو نوع من أنواع الغلو في التعبُّد مما يسميه القوم مرتبة الفناء، ولها معنى صحيح ينطلقون منه: وهو أن العبد قد يترقى في مراتب الطاعة حتى يرى بنور الله سبحانه وتعالى؛ بحيث تتجلى أسماء الله وصفاته في خلقه، وهذا المعنى صحيح في ذاته، ويشهد له حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «إن الله قال: من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه». (أخرجه البخاري (٦٥٠٢)).

فجرّ هذا المعنى الصحيح الغُلاة من القوم حتى قالوا بوحدة الوجود، وأن وجود الرب هو عين وجود العبد: فليس هناك موجود إلا الله، حتى قال قائلهم: "الرب عبد، والعبد رب، يا ليت شعري من المكلف؟! إن قلت: عبد فذاك ربٌ، وإن قلت: رب أنى يُكلف". على أن اللفظ الوارد عن ابن عربي: "الرب حق، والعبد حق".

من صور الغلو عند بعض المعاصرين:

وإذا كانت صور الغلو كثيرة ومتنوعة عبر التاريخ، فإن في بعض المعاصرين ممن يوصف بالعلم والدعوة من صور الغلو الشديدة ما يساوي ما ورد عن أسلافهم من الصور، وسأضرب لك بعض الأمثلة وأسبابها ليتبين لك: ماذا يفعل الغلو بأهله؟

١- الغلو في تصوُّر رحمة الله عز وجل في الآخرة: لا ريب عند المسلم في عظم رحمة الله عز وجل، فعن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءًا، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه». (أخرجه البخاري (٦٠٠٠)، ومسلم (٧٠٧٣) (١٨)).

ولكن أهل الغلو والابتداع ممن ينتسبون إلى التصوف البدعي يتصورون رحمة الله -عز وجل- على غير وجهها فيقولون:

أ- بجواز إلغاء النار يوم القيامة، وإلغاء العقوبة ونجاة الكفار وعتاة المشركين.

ب- بجواز نجاة بعض المشركين الذين عيّن الله-عز وجل- دخولهم النار وخلودهم فيه كأبي لهب، فقال فيه: «تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ» (المسد: ١-٣).

ج- أن فرعون يأتي ناجيًا يوم القيامة، لقوله تعالى حاكيًا عن فرعون: «حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ» (يونس: ٩٠)؛ متعامين عن قوله تعالى: «ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ

Upload by : altawhedmag.com

﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ (يونس: ٩١، ٩٢)، وغيرها من الآيات كقوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ (غافر: ٤٥، ٤٦)

د- أن المشركين والكافرين وعتاة المجرمين إذا دخلوا النار فإنهم لا يشعرون فيها بالعذاب المهين، والعقاب الأليم، وإنما العذاب عندهم من العذوبة.

إلى غير ذلك من البدع والخرافات التي تخالف المعلوم من الدين بالضرورة، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، متعامين عن سياق الآية فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٦).

٢- الغلو في النبي-صلى الله عليه وسلم-:

لا شك أن النبي-صلى الله عليه وسلم- له مكانة عالية رفيعة في الدارين، لكن ذلك لا يجرّ المؤمنين إلى الغلو فيه، فعن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- قال على المنبر: سمعت النبي-صلى الله عليه وسلم- يقول: «لا تُطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله» (أخرجه البخاري (٣٤٤٥)).

ومن مظاهر غلو هؤلاء في النبي-صلى الله عليه وسلم- اعتقادهم:

أ- أن الرسول صلى الله عليه وسلم خُلِقَ من نور.

ب- وأنه أول مخلوق على الإطلاق.

ج- وأن الله خلق من نور محمد جميع ما في هذا الكون من أرض وسماء وما فيهما بينهما.

قال عبد العزيز الدباغ في الإبريز (ص: ٢٥٢): «أول ما خلق الله تعالى نور سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم- ثم خلق منه القلم والحجب السبعين وملائكتها، ثم خلق اللوح ثم قبل كماله وانعقاده خلق العرش والأرواح والجنة والبرزخ».

ومنها ادعاء أن الدنيا والآخرة من جود النبي-صلى الله عليه وسلم- كما قال البوصيري:

فإن من جودك الدنيا وضرتها
ومن علومك علم اللوح والقلم

د- ومنها التوسل البدعي بذات النبي-صلى الله عليه وسلم-.

ه- وادعاء رؤيته يقظةً، وأنه يحضر مولد الشيخ الفلاني... إلخ هذه الخرافات.

٣- الغلو في الأولياء والصالحين:

وهذا الغلو له مظاهر كثيرة لا تكاد تنحصر، فمنها:

أ- الغلو في مدحهم والإطراء عليهم حتى نَسبُوا لهم من الصفات والتحكم في الكون ما يطيقه عقل ولا يسنده نقل؛ فقالوا: إن للأولياء تصرُّفًا في الأكوان، وكل وليّ عندهم قد وكّله الله بتصريف جانب من جوانب الخلق:

فأربعة أولياء يمسكون العالم من جوانبه الأربعة، ويسمون: الأوتاد.

وسبعة أولياء آخرون كل منهم في قارة من قارات الأرض السبع، ويسمون: الأبدال. وعدد آخر من الأولياء في كل إقليم من أقاليم الدنيا، ففي مصر ثلاثون أو أربعون وليًا، وفي الشام كذلك، والعراق، وهكذا. وفوقهم جميعًا ولي واحد يسمى القطب الأكبر أو الغوث، وهو الذي يدبر شأن الملك كله!

ب- اتخاذ قبورهم مساجد، وبناء الأضرحة فوقها، والذبح والنذر لهم، والطواف بقبورهم، وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله... إلى غير ذلك من مظاهر الغلو.

هذا ما يسّر الله به في هذا المقال، والله تعالى أعلم وأحكم.

Upload by : altawhedmag.com

ماذا تعرف عن شهر رجب؟

إعداد الشيخ/ صلاح نجيب الدق
فرع بلبيس

الْحَمْدُ لِلَّهِ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَصْحَابِهِ، أَجْمَعِينَ.

وبعد: فإن شهر رجب هو أحد الأشهر الحرم، التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، لذلك أحببت أن أذكر ببعض الأمور الخاصة بشهر رجب، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

تسمية شهر رجب

سُمي رجبٌ بذلك لأن العرب كانوا يُعظمونه في الجاهلية بترك القتال فيه. (الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي، صـ١٣٦).

اسماء شهر رجب

ذكر بعض العلماء أن لشهر رجب أسماء عديدة، منها: شهر الله، ورجب، ورجب مُضر، ومُنصل الأسنة والأصم والأصب ومُنفس، ومطهر ومُعلى، ومُقيم، وهرم، ومُقشقش، ومبرئ، وفرد، ورجم، ومُنزع الأسنة. (لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي: صـ٢٢٥).

رجب احد الأشهر الحرم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة:٣٦)؛ قال ابن جرير الطبري: هذه الشهور الاثنا عشر منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن، وتحرمهن، وتحرم القتال فيهن، حتى لو لقي الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يهجه؛ (أي: لم يزعجه ولم ينفره)، وهن: رجب مُضر وثلاثة متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم. وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. (تفسير الطبري جـ١٤صـ٢٣٤).

وعن أبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مُضر، الذي بين جمادى وشعبان. (البخاري حديث ٤٦٦، ومسلم حديث ١٦٧٩).

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: "قوله صلى الله عليه وسلم: (ورجب مُضر) إضافة إليهم؛ لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه بخلاف غيرهم. (فتح الباري لابن حجر جـ٨صـ١٧٦).

قال الإمام الخطابي رحمه الله: كانوا يخالفون بين أشهر السنة بالتحليل والتحريم والتقديم والتأخير؛ لأسباب تعرض لهم؛ منها استعجال الحرب فيستحلون الشهر الحرام، ثم يحرمون بدله شهرا غيره؛ فتتحول في ذلك شهور السنة وتتبدل، فإذا أتى على ذلك عدة من السنين استدار الزمان وعاد الأمر إلى أصله فاتفق وقوع حجة النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك. (فتح الباري

Upload by : altawhedmag.com

جـ٨صـ١٧٦).

فائدة: قال الإمامُ ابنُ حجر العسقلاني: "أبدى بعض العلماء لما استقر عليه الحال من ترتيب هذه الأشهر الحرم مناسبة لطيفة؛ حاصلها أن للأشهر الحرم مزية على ما عداها، فناسب أن يُبدأ بها العام، وأن تتوسطه وأن تُختم به، وإنما كان الختم بشهرين لوقوع الحج ختام الأركان الأربع؛ لأنها تشتمل على عمل مال محض، وهو الزكاة، وعمل بدن محض، وذلك تارة يكون بالجوارح وهو الصلاة وتارة بالقلب وهو الصوم لأنه كف عن المفطرات وتارة عمل مركب من مال وبدن وهو الحج؛ فلما جمعهما ناسب أن يكون له ضعف ما لواحد منهما فكان له من الأربعة الحرم شهران. (فتح الباري لابن حجر جـ٨صـ١٧٦).

حكم القتال في الأشهر الحرم

ذهب جمهور العلماء إلى أن تحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ. واستدل الجمهور على ذلك بأن الصحابة اشتغلوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم بفتح البلاد ومواصلة القتال والجهاد، ولم يُنقل عن أحد منهم أنه توقف عن القتال وهو طالب له في شيء من الأشهر الحرم، وهذا يدل على إجماعهم على نسخ ذلك. (لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي صـ٢٢٤:٢٢٥).

بدعة صلاة الرغائب

صلاة الرغائب من البدع المحدثة في شهر رجب، وهي اثنتا عشرة ركعة، وتكون في ليلة أول جمعة من رجب بين صلاة المغرب والعشاء، يسبقها صيام الخميس الذي هو أول خميس في رجب. والأصل فيها حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم. (البدع الحولية لعبد الله التويجري صـ٢٤٠).

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: "صلاة رجب لم تحدث عندنا ببيت المقدس إلا بعد سنة ثمانين وأربعمائة هجرية، وما كنا رأيناها ولا سمعنا بها قبل ذلك". (الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي صـ ١٣٣).

قال الإمام النووي رحمه الله عن صلاة الرغائب: "هذه الصلاة بدعة مذمومة منكرة قبيحة، ولا تغتر بذكرها في كتاب قوت القلوب والإحياء". (السنن والمبتدعات لمحمد عبد السلام صـ١٢٤).

قال الإمام أبو شامة رحمه الله: "قد ثبت أن هاتين الصلاتين، أعني صلاتي رجب وشعبان، صلاة بدعة قد كذب فيهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضع ما ليس من حديثه". (الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة صـ٥٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "صلاة الرغائب بدعة باتفاق أئمة الدين، لم يسنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد من خلفائه ولا استحبها أحد من أئمة الدين؛ كمالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي والليث وغيرهم. والحديث المروي فيها كذب بإجماع أهل المعرفة بالحديث وكذلك الصلاة التي تذكر أول ليلة جمعة من رجب وفي ليلة المعراج وألفية نصف شعبان". (مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٢٣صـ١٣٤).

تخصيص شهر رجب بالصيام بدعة

عن خرشة بن الحر، قال: رأيت عمر بن الخطاب يضرب أكف الناس في رجب، حتى يضعوها في الجفان ويقول: "كلوا فإنما هو شهر كان يعظمه أهل الجاهلية". إسناده صحيح: مصنف ابن أبي شيبة جـ٤صـ١٥٥حديث ٩٨٤٨).

وعن عاصم بن محمد، عن أبيه، قال: كان ابن عمر إذا رأى الناس، وما يعدون لرجب، كره ذلك. (إسناده صحيح: مصنف ابن أبي شيبة جـ٤صـ١٥٥ حديث ٩٨٥١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "صوم رجب بخصوصه فأحاديثه كلها ضعيفة بل موضوعة لا يعتمد أهل العلم على شيء منها وليست من الضعيف الذي يروى في الفضائل، بل عامتها من الموضوعات المكذوبات". (مجموع فتاوى ابن تيمية جـ٢٥ صـ٢٩٠:٢٩١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "كان صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقال: لا يفطر ويفطر حتى يقال: لا يصوم وما استكمل صيام شهر غير رمضان وما كان يصوم في شهر أكثر مما يصوم في شعبان ولم يكن يخرج عنه شهر حتى يصوم منه. ولم يصم الثلاثة الأشهر سردا كما يفعله بعض الناس ولا صام رجبا قط ولا استحب صيامه". (زاد المعاد لابن القيم جـ٢صـ٦٤).

Upload by : altawhedmag.com

قال الإمام ابن القيم أيضًا: "كل حديث في ذكر صوم رجب وصلاة بعض الليالي فيه فهو كذب مفترى كحديث من صلى بعد المغرب أول ليلة من رجب عشرين ركعة جاز على الصراط بلا حساب". (المنار المنيف لابن القيم صـ٩٦ رقم١٧٠).

قال الإمام ابن حجر رحمه الله: "لم يرد في فضل شهر رجب ولا في صيامه، ولا في صيام شيء منه معين، ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث صحيح يصلح للحجة، وقد سبقني إلى الجزم بذلك الإمام أبو إسماعيل الهروي". (تبيين العجب لابن حجر العسقلاني صـ٢٣).

فائدة مهمة

قد يرى بعض الإخوة الكرام جواز تخصيص شهر رجب بالصيام، مستدلين بما رواه أبو داود عن مُجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انطلق فأتاه بعد سنة وقد تغيرت حاله وهيئته فقال: يا رسول الله أما تعرفني؟ قال: ومن أنت؟ قال: أنا الباهلي الذي جئتك عام الأول. قال: فما غيرك؟ وقد كنت حسن الهيئة؟ قال: ما أكلت طعامًا إلا بليل منذ فارقتك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم عذبت نفسك، ثم قال: صم شهر الصبر ويومًا من كل شهر. قال زدني فإن بي قوة. قال: صم يومين. قال: زدني. قال: صم ثلاثة أيام. قال: زدني قال: صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك، صم من الحرم واترك. وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها). ولكنه حديث ضعيف. (ضعيف أبي داود للألباني: ٥٢٦).

قال الإمام أبو بكر الطرطوشي رحمه الله: "يُكره صيام شهر رجب على أحد ثلاثة أوجه: أحدها: إذا خصه المسلمون بالصوم في كل عام حسب العوام ومن لا معرفة له بالشريعة، مع ظهور صيامه أنه فرض كرمضان.

الثاني: أنه سُنة ثابتة خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم كالسُنن الراتبة.

الثالث: أن الصوم فيه مخصوص بفضل ثواب على سائر الشهور جار مجرى صوم عاشوراء وفضل آخر الليل على أوله في الصلاة فيكون من باب الفضائل، لا من باب السُنن والفرائض، ولو كان من باب الفضائل لسُنه صلى الله عليه وسلم أو فعله ولو مرة في العمر، كما فعل في صوم عاشوراء وفي الثلث الغابر من الليل، ولما لم يفعل بطل كونه مخصوصًا بالفضيلة ولا هو فرض ولا سُنة باتفاق، فلم يبق لتخصيصه بالصيام وجه، فكره صيامه والدوام عليه، حذرًا من أن يُلحق بالفرائض والسُنن الراتبة عند العوام، فإن أحب امرؤ أن يصومه على وجه تؤمن فيه الذريعة وانتشار الأمر حتى لا يُعد فرضًا أو سُنة، فلا بأس بذلك". (الحوادث والبدع لأبي بكر الطرطوشي ص١٤١: ١٤٢).

ذبائح شهر رجب

كان العرب في الجاهلية يذبحون لآلهتهم ذبيحة يسمونها العتيرة وذلك في شهر رجب، وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن الإسلام قد أبطل ذلك. (لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي صـ٢٢٦).

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا فرع ولا عتيرة". (البخاري حديث ٥٤٧٤، ومسلم حديث ١٩٧٦). الفرع: أول نتاج، من الإبل والغنم، كان أهل الجاهلية يذبحونه لآلهتهم.

قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: ليس في الإسلام عتيرة، إنما كانت العتيرة في الجاهلية، كان أحدهم يصوم رجب ويعتر فيه. قال الإمام ابن رجب الحنبلي: ويُشبه الذبح في رجب اتخاذه موسمًا وعيدًا، كأكل الحلوى ونحوها. (لطائف المعارف لابن رجب صـ٢٢٧).

عمرة شهر رجب

تخصيص شهر رجب بالعُمرة بدعة؛ لأنه ليس هناك دليل شرعي على تخصيص شهر رجب بالعمرة فيه، مع ثبوت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعتمر في رجب قط. ولو كان لتخصيصه بالعمرة فضل لدل النبي صلى الله عليه وسلم أمته عليه، وهو الحريص عليهم، كما دلهم على فضل العمرة في رمضان ونحو ذلك.

Upload by : altawhedmag.com

وعن مجاهد قال: دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد فإذا عبد الله بن عمر جالس إلى حجرة عائشة وإذا ناس يصلون في المسجد صلاة الضحى قال: فسألناه عن صلاتهم؟ فقال: بدعة. ثم قال له كم اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أربعا إحداهن في رجب فكرهنا أن نرد عليه قال: وسمعنا استنان عائشة أم المؤمنين (صوت مرور السواك على أسنانها) في الحجرة. فقال عروة: يا أماه يا أم المؤمنين ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟ قالت: ما يقول؟ قال: يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمرات إحداهن في رجب. قالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهده، وما اعتمر في رجب قط. (البخاري حديث ١٧٧٥، ومسلم حديث ١٢٥٥).

الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج

وقت الإسراء والمعراج:

ذكر الإمام ابن حجر العسقلاني أن اختلاف أهل العلم في تحديد وقت الإسراء والمعراج يزيد على عشرة أقوال: منها أنه قد وقع في ربيع الأول أو في ربيع الآخر أو في رجب أو في رمضان أو في شوال. (فتح الباري جـ ٧ صـ ٢٤٢: ٢٤٣).

وقد أجمع سلفنا الصالح على أن اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية من البدع المحدثة التي نهى عنها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد". (البخاري حديث ٢٦٩٧، ومسلم حديث ١٧١٨).

وبناء على ما سبق، نقول وبالله تعالى التوفيق: الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج بدعة. لم يفعله نبينا صلى الله عليه وسلم، ولا الصحابة، ولا التابعون، ولا من تبعهم من السلف الصالح، وهم أحرص الناس على العمل الصالح. وسوف نذكر أقوال بعض أهل العلم في ذلك:

(١) قال الإمام ابن القيم: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

لا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها، لا سيما على ليلة القدر. ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور، ولا يذكرونها. ولهذا لا يعرف أي ليلة كانت، وإن كان الإسراء من أعظم فضائله صلى الله عليه وسلم، ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان، ولا ذلك المكان بعبادة شرعية. بل غار حراء الذي ابتدئ فيه بنزول الوحي، وكان يتحراه قبل النبوة، لم يقصده هو ولا أحد من أصحابه بعد النبوة مدة مقامه بمكة، ولا خص اليوم الذي أنزل فيه الوحي بعبادة ولا غيرها، ولا خص المكان الذي ابتدئ فيه بالوحي ولا الزمان بشيء. (زاد المعاد لابن القيم جـ ١ صـ ٥٨: ٥٩).

(٢) قال الإمام ابن رجب الحنبلي: لا يشرع أن يتخذ المسلمون عيدا إلا ما جاءت الشريعة باتخاذه عيدا، وهو يوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق وهي أعياد العام ويوم الجمعة وهو عيد الأسبوع وما عدا ذلك فاتخاذه عيدا وموسما بدعة، لا أصل له في الشريعة. (لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي صـ ٢٢٨).

(٣) قال الإمام ابن الحاج رحمه الله: من البدع التي أحدثوها فيه أعني في شهر رجب ليلة السابع والعشرين منه التي هي ليلة المعراج. (المدخل لابن الحاج جـ ١ صـ ٢٩٤).

(٤) قال الإمام محمد عبد السلام القشيري رحمه الله: قراءة قصة المعراج، والاحتفال لها في ليلة السابع والعشرين من رجب بدعة، وتخصيص بعض الناس لها بالذكر والعبادة بدعة، والأدعية التي تقال في رجب، وشعبان، ورمضان كلها مخترعة مبتدعة، ولو كان خيرا لسبقونا إليه، والإسراء لم يقم دليل على ليلته، ولا على شهره، ومسألة ذهابه صلى الله عليه وسلم ورجوعه ليلة الإسراء ولم يبرد فراشه، لم تثبت، بل هي أكذوبة من أكاذيب الناس. (السنن والمبتدعات لمحمد عبد السلام صـ ١٢٧).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

Upload by : altawhedmag.com

القرآن كلام الله تلقاه جبريل منه سبحانه

إعداد الشيخ/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فلا ريب أن العلم بأسماء الله وصفاته أشرف العلوم الشرعية وأزكى المقاصد العلية وأعظم الغايات السنية، لتعلقه بأشرف معلوم وهو الله عز وجل، والعلم بأسمائه وصفاته وأفعاله أجل علوم الدين كلها، وإرادة وجهه أجل المقاصد وعبادته أشرف الأعمال، والثناء عليه بأسمائه وصفاته ومدحه وتمجيده أشرف الأقوال، وذلك أساس الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام.

وهو الدِّين الذي اجتمع عليه جميع النبيين، وعليه اتفقت كلمتهم، وتواطأت مقالتهم وتوارد نصحهم وبيانهم، بل إنه أحد المحاور العظيمة التي عليها ترتكز دعوتهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. (فقه الأسماء الحسنى، لعبد الرزاق البدر ص١٦).

فمن صفاته سبحانه وتعالى: الكلام: فهو سبحانه وتعالى يتكلم، والكلام كمال، ولهذا يُعدّ الخرس عيبًا ونقصًا، فله الكلام وكلامه سبحانه وتعالى بحرف وصوت، لأننا نجد أن ما يتكلم الله به حروف، ونعلم أن كلامه يسمع ويرد عليه.

وكل الكلام الذي ذكره الله عن نفسه نجده بحروف.

فالقرآن الكريم سماه الله تعالى كلامًا له، فقال: «وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ» (التوبة: ٦)، ومعلوم أن القرآن كله حروف. ثم إن الله يقول: «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ» (المائدة: ١١٦) «إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ» (ص: ٧١) «وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ» (البقرة:٣٥).

كل هذه المقولات حروف. وهل كلام الله بصوت؟

والجواب: نعم، كلام الله تعالى بصوت، قال تعالى:

Upload by : altawhedmag.com

«وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا» (مريم: ٥٢)؛ فالمناداة بصوت مرتفع، والمناجاة بصوت منخفض، وكل ذلك وصف الله به نفسه: «وناديناه» «وقربناه نجيًا». (شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين ص١٧٢).

ثم إن المحاورة التي تقع بين الله وبين رسله تكون بشيء مسموع بلا شك، فإن موسى عليه السلام لما كان الله يحاوره: «وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ» (طه ١٧- ٢١).

لا شك أن موسى كان يسمع هذا، وهل يمكن أن يُسمع شيء بلا صوت ؟! لا يمكن، لا بد من صوت، كلام الله أيضًا يتعلق بمشيئته ابتداءً وانتهاءً وكيفية، يعني متى شاء يتكلم ومتى شاء لم يتكلم، وكيفية: إن شاء تكلم بصوت مرتفع، وإن شاء تكلم بصوت غير مرتفع، إن شاء تكلم بالعربية وإن شاء تكلم بغير العربية، إذن يتكلم كيف شاء ابتداءً وانتهاء وكيفية.

فالكلام الذي حصل لموسى كان حين أرسله، وحين جاء للميقات: «وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ» (الأعراف:١٤٣)، في أي وقت شاء، وكلامه في أي وقت شاء أمر يوجبه العقل؛ لأننا نشاهد المحدثات والمحدثات لا تحدث إلا بإرادته، وإذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون.

إذن لا بدَّ أن يتعلق الكلام بمشيئته، فمتى شاء تكلم بما يريد عز وجل من الكلام الكوني والكلام الشرعي.

المهم: أن كلام الله تعالى يتعلق بمشيئته، ولهذا قال أهل العلم من أهل السنة: إن الله يتكلم بحرف وصوت بما شاء متى شاء كيف يشاء، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله عز وجل، وهو مذهب تؤيده الأدلة الشرعية والأدلة العقلية والأدلة اللغوية؛ لأن الكلام لا يُعقل إلا بحرف وصوت. (المرجع السابق، بتصرف).

والله تعالى أرسل الرسل إلى الناس لتُبلِّغهم كلام الله الذي أنزله إليهم، فمن آمن بالرسل آمن بما بلغوه عن الله، ومن كذب بالرسل كذب بذلك.

فالإيمان بكلام الله داخل في الإيمان برسالة الله إلى عباده، والكفر بذلك هو الكفر بهذا، فتدبر هذا الأصل فإنه فرقان هذا الاشتباه.

تلقي جبريل القرآن من الله تعالى:

ذهب كثير من أهل العلم أن جبريل عليه السلام تلقى القرآن سماعًا من الله عز وجل، ومن أدلة ذلك ما رواه البخاري عن النواس بن سمعان رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة -أو قال: رعدة- شديدة خوفًا من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السماء صُعقوا وخروا لله سجدًا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيوحي الله من أمره ما يشاء، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مرَّ بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ قال: فيقول جبريل: قال الحقَّ وهو العلي الكبير، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، ثم ينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله». أخرجه في كتاب التفسير (سورة سبأ).

والصعق: أن يُغشى على الإنسان من صوت شديد يسمعه وربما مات منه.

وكذلك حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا قضى الله الأمر من السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كالسلسلة على صفوان». أخرجه البخاري في «كتاب التفسير» سورة الحجرات.

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، قال الإمام أحمد رحمه الله فيما رواه ابنه صالح عنه: «افترقت الجهمية على ثلاث فرق: فرقة قالوا: القرآن مخلوق، وفرقة قالوا: كلام الله وتسكت، وفرقة قالوا: لفظنا بالقرآن مخلوق».

قال الله عز وجل في كتابه: «وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ» (التوبة:٦)، فجبريل سمعه من الله، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل، وسمعه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من

Upload by : altawhedmag.com

النبي صلى الله عليه وسلم، فالقرآن كلام الله غير مخلوق.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «استفاضت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، ومن بعدهم من أئمة السنة أنه سبحانه ينادي بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إن الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف، ولا أنه أنكر أن يتكلم بصوت أو بحرف». (مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/ ٣٠٤).

وروى ابن بطة العكبري في «الإبانة» بسنده عن عكرمة مولى ابن عباس قال: كنا مع ابن عباس في جنازة فسمع رجلاً يقول: يا رب القرآن ارحم فلانًا، فقال له ابن عباس: «ألا تتقي الله، القرآن كلام الله». رواه البيهقي في «الأسماء والصفات»، واللالكائي في «أصول السنة»، والبغوي في «شرح السنة»، وأورده السيوطي في «اللآلئ» (١٧) وقال: رجاله ثقات.

قال العلامة ابن بطة العكبري في «الإبانة في الرد على الجهمية»: إن الله لم يزل بقوته وعظمته وعزته وعلمه، وجوده وكرمه، وكبريائه وعظمته وسلطانه متكلمًا، عالمًا قويًا عزيزًا قديرًا ملكًا، ليست هذه الصفات ولا شيء منها ببائنة منه، ولا منفصلة عنه، ولا تتبعض منه، ولكنها منه وهي صفاته، فكذلك القرآن كلام الله، وكلام الله منه، وبيان ذلك في كتابه. قال الله عز وجل: «سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ» (يس: ٥٨)، وقال: «وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي» (السجدة: ١٣)، وقال: «فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ» (الصافات: ٣١). وقد أخبرنا الله أن الأشياء إنما تكون بكلامه، فقال: «فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ» (الأعراف:١٦٦)، وقال: «قُلْنَا لَا تَخَفْ» (طه: ٦٨) وقال: «قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ» (الأنبياء: ٦٩)، فبقول الله عز وجل صار أولئك قردة، وبقوله اطمأن موسى، وبقوله صارت النار بردًا وسلامًا. اهـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٢/ ٩٨):

«فنص الإمام أحمد على ما جاء به الكتاب والسنة أنا نقرأ القرآن بأصواتنا والقرآن كلام الله كله لفظه ومعناه، سمعه جبريل من الله، وبلغه إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وسمعه محمد صلى الله منه، وبلغه محمد صلى الله عليه وسلم إلى الخلق، والخلق يبلغه بعضهم إلى بعض، ويسمعه بعضهم من بعض». انتهى.

وقد انتقد كثير من أهل العلم قول السيوطي في الإتقان: أن جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ، وجاء به إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ذكره في النوع السادس عشر في كيفية إنزاله: (المسألة الثانية).

وليس في قول السيوطي هذا إثبات أن الله يتكلم بحرف وصوت كقول أهل السُنة. ولا شك أن هذا القول هو عقيدة الأشاعرة. وقد رد الشيخ محمد بن إبراهيم، مفتي المملكة العربية السعودية سابقًا على هذا القول في رسالة له، وكان رحمه الله دقيقًا، فإنه لم ينسب المقالة إلى السيوطي، بل قال: إن هذا وقع في الإتقان حاكيًا السيوطي له في جملة أقوال من غير رد ولا نكير.

والقائلون بخلق القرآن يقولون: خلقه في اللوح المحفوظ، وأخذ جبريل ذلك المخلوق من اللوح المحفوظ، وجاء به إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وان الذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة أن الله تعالى لم يزل متكلمًا إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وان جبريل عليه السلام سمع القرآن الكريم من الله تعالى وبلغه إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم من جبريل مرتلاً بالكيفية التي علمها لأصحابه الكرام، ووصل إلينا بالسند المتصل بنفس الكيفية التي تعلمها الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا محض فضل الله علينا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

سَرِيَّة القُرَّاء وفَاجِعَة بئر مَعُونَة

إعداد: د. سيد عبد العال

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد: فموضوعنا في هذا العدد مع واقعة عظيمة، وفاجعة أليمة تترجم عن مدى التعصب والغدر والخيانة لدى أعداء الإسلام انطلاقًا من عقيدتهم الباطلة. فما هي تلك الواقعة؟ إنها واقعة بئر معونة، أو سرية القراء.

أولًا: ذكر الحديث مجملًا

عَنْ أَنَس بْن مَالك رضي الله عنه قَالَ: جاء نَاسٌ مِنْ بَني عَامر إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلَّم؛ فَقَالُوا: ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآن وَالسُّنَّة؛ فَبَعَث إِلَيْهِمْ رَسُول الله صلى الله عليه وسلَّم سَبْعِين رَجُلًا مِنَ الأَنْصار كُنَّا نُسَمِّيهِمْ: الْقُرَّاء فِيهِمْ خَالي حَرَام بْن مِلْحَان، وَكَانُوا يَقْرَءُون الْقُرْآن، وَيَتَدَارَسُون بِاللَّيْل يَتَعَلَّمُون، وَكَانُوا بِالنَّهَار يَجِيئُون بِالْمَاء؛ فَيَضَعُونَه فِي الْمَسْجِد، وَيَحْتَطِبُون؛ فَيَبِيعُونَه، وَيَشْتَرُون بِه الطَّعَام لأَهْل الصُّفَّة، وَلِلْفُقَرَاء؛ فَبَعَثَهُمْ رَسُول الله صلى الله عليه وسلَّم إِلَيْهِمْ؛ فَعَرَض لَهُمْ حَيَّان مِنْ بَني سُلَيْم: رِعْل وَذَكْوَان عِنْد بِئْر يُقَال لَهَا: بِئْر مَعُونَة؛ فَلَمَّا قَدِمُوا؛ قَالَ خَالي لأَمِيرهِمْ: دَعْني أَتَقَدَّمُكُمْ فَلأُخْبِرْ هَؤُلاء أَنَّا لَسْنَا إِيَّاهُمْ نُرِيد حَتَّى يُخْلُوا وَجْهَنَا فَإِنْ أَمَّنُوني حَتَّى أُبَلِّغَهُمْ عَن رَسُول الله- صلى الله عليه وسلَّم- وَإِلَّا كُنْتُمْ مِنِّي قَرِيبًا، فَتَقَدَّم فَأَمَّنُوهُ؛ فَقَالَ: وَالله مَا إِيَّاكُمْ أَرَدْنَا، إِنَّمَا نَحْن مُجْتَازُون فِي حَاجَة لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلَّم فَبَيْنَمَا يُحَدِّثُهُمْ عَنْ رَسُول الله صلى الله عليه وسلَّم إِذْ أَوْمَئُوا إِلَى رَجُل مِنْهُمْ؛ فَأَتَاه مِنْ خَلْفه؛ فَطَعَنَه حَتَّى أَنْفَذَه بِالرُّمْح؛ فَقَالَ حَرَام بِالدَّم هَكَذَا؛ فَنَضَحَه عَلَى وَجْهه وَرَأْسه ثُمَّ قَالَ الله أَكْبَر، فُزْت وَرَبِّ الْكَعْبَة ثُمَّ مَالُوا عَلَى بَقِيَّة أَصْحَابه فَقَتَلُوهُمْ.

وذلك أن عامرًا قال: لا أحسبه إلا أن له أصحابًا، فاقتصوا أثره، حتى أتوهم ثم استنفر عدو الله لفوره بني عامر إلى قتال الباقين، فلم يجيبوه؛

Upload by : altawhedmag.com

لأجل جوار أبي براء؛ فاستنفر بني سليم، فأجابته عصية ورعل وذكوان؛ فجاءوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم إلا رجلا أعرج كان في رأس جبل؛ فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا: أنا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت عنا؛ فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك؛ فرضينا عنك، ورضيت عنا قال أنس: وأنزل في الذين قتلوا ببئر معونة قرآن قرأناه أن: "بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه"، ثم نسخ بعد "فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حزن حزنا قط أشد منه عليهم؛ فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الغداة رفع يديه يدعو على قتلتهم أربعين صباحا، وفي رواية: ثلاثين صباحا يقول: اللهم العن بني لحيان، ورعلا، وذكوان، وعصية؛ الذين عصوا الله ورسوله وذلك بدء القنوت وما كنا نقنت فلما كان بعد ذلك إذا أبو طلحة يقول لي: هل لك في قاتل حرام؟ فقلت له: ما له فعل الله به وفعل قال: مهلا فإنه قد أسلم. (صحيح البخاري (٢٦٤٧و٢٨٩٩و٣٨٦٠و٣٨٦٤)، وصحيح مسلم (٦٧٧).

ثانيا: الفوائد والدروس والعبر:

١- بئر معونة بفتح الميم وضم المهملة وسكون الواو بعدها نون موضع في بلاد هذيل بين مكة وعسفان وهذه الوقعة تعرف بسرية القراء وكانت مع بني رعل وذكوان.

فأما رعل: فبكسر الراء، وسكون المهملة بطن من بني سليم ينسبون إلى رعل بن عوف بن مالك بن امرئ القيس بن لهيعة بن سليم، وأما ذكوان: فبطن من بني سليم -أيضا- ينسبون إلى ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم فنسبت الغزوة إليهما. فتح الباري (٧/ ٣٧٩).

٢- تاريخها: كانت في صفر من السنة الرابعة للهجرة "أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد بقية شوال، وذا القعدة، وذا الحجة وولي تلك الحجة المشركون، والمحرم، ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد" المعجم الكبير للطبراني (٨٤١).

وهذا صريح في أنها كانت في نفس الشهر الذي كان فيه بعث الرجيع، ولعل هذا أحد أسباب إيراد البخاري لهما في ترجمة واحدة في الصحيح؛ حيث قال: باب غزوة الرجيع، ورعل، وذكوان، وبئر معونة، وحديث عضل، والقارة، وعاصم بن ثابت، وخبيب وأصحابه. قال ابن حجر: سياق هذه الترجمة يوهم أن غزوة الرجيع وبئر معونة شيء واحد وليس كذلك، وكأن المصنف أدرجها معها لقربها منها، وذكر الواقدي: أن خبر بئر معونة، وخبر أصحاب الرجيع جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة واحدة، ولم يرد المصنف: أنهما قصة واحدة، والله أعلم. فتح الباري (٧/ ٣٨٠).

٣- جاء في سببها ثلاث روايات:

الأولى: عن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رعل، وذكوان؛ فزعموا: أنهم قد أسلموا، واستمدوه على قومهم، فأمدهم النبي صلى الله عليه وسلم بسبعين من الأنصار. البخاري (٣٠٦٤).

الثانية: أنه صلى الله عليه وسلم أرسل سبعين رجلا لحاجة، يقال لهم القراء..." البخاري (٤٠٨٨).

الثالثة: أن أبا براء عامر بن مالك المعروف بملاعب الأسنة قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، ودعاه إليه، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام، وقال: يا محمد، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد، فدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك...فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا من أصحابه... الحديث. (مصنف عبد الرزاق (١٠٤٧٩و١٩٦٥٨)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢/ ٢٧٥). قال ابن حجر: رجاله ثقات إلا أنه مرسل وقد وصله بعضهم عن الزهري ولا يصح. فتح الباري (٥/ ٢٣٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٧٢٧).

ولا تعارض بين الروايات السابقة؛ لأنه يحتمل:

Upload by : altawhedmag.com

أن أبا براء جاء للنبي صلى الله عليه وسلم وتزامن مع مجيئه مجيء جماعة أظهروا الإسلام؛ فبعث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه معهم وهذا تفسيرٌ للحاجة المذكورة في الرواية الأخرى؛ أي: أنه بعثهم؛ مددًا لدعوتهم إلى الإسلام؛ وهذا هو القصد من الإمداد المذكور أي أنه أمدهم بأناس للدعوة لا للحرب. فتح الباري (٧/ ٣٨٦) بتصرف.

٤- عددهم: قال ابن القيم: فبعث معه أربعين رجلًا في قول ابن إسحاق. وفي الصحيح "أنهم كانوا سبعين" والذي في الصحيح هو الصحيح. زاد المعاد (٣/ ٢٢١).

وقال ابن حجر: يحتمل: أن الأربعين كانوا رؤساء وبقية العدة أتباعًا. الفتح (٧/ ٣٨٧).

٥- "فزت ورب الكعبة" أي: بما أعد الله للشهداء؛ وهو كلام يدل على أن قائله قد كان حريصًا على الشهادة؛ فلما قضيت له تحقق الفوز بها فقال: فزت. وقوله: ورب الكعبة: يمين نشأت عن إيمان منه، بأن الشهادة في سبيل الله فوز. الإفصاح (٥/ ٩٠)، والمفهم (٣/ ٧٤١).

٦- إن هذا المشهد يجعل أقسى القلوب وأعظمها تحجرًا يتأثر، ويستصغر نفسه أمام هؤلاء العظماء الذين لا تصفر وجوههم فزعًا من الموت، وإنما يعلوها البشر والسرور، وتغشاها السكينة والطمأنينة. وهذا الموقف الخارق للعادة يدعونا للتساؤل: هل يتعرض الشهيد لألم الموت؟ وتأتينا الإجابة الشافية في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة. أخرجه الترمذي (١٦٦٨) وقال: حسنٌ غريبٌ صحيحٌ.

فللشهيد منزلة خاصة عند الله، فجزاء الثمن الباهظ الذي يدفعه وهو روحه رخيصة في سبيل الله عز وجل لم يبخسه أعدل العادلين حقه فكافأه مكافأة بست جوائز كل واحدة منها تعدل الدنيا بمن فيها.

فعن المقدام بن معدي كرب الكندي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن للشهيد عند الله ستَّ خصال: أن يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى قال الحكم: ويرى مقعده من الجنة، ويُحلَّى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانًا من أقاربه" (صحيح أخرجه أحمد ١٧١٨٢).

٧- لقد تأثر القاتل جبار بن سلمى حتى قال: إن مما دعاني إلى الإسلام أني طعنت رجلًا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره، فسمعته يقول: فزت والله! فقلت في نفسي: ما فاز! ألست قد قتلت الرجل! قال: حتى سألت بعد ذلك عن قوله، فقالوا: للشهادة، فقلت: فاز لعمر الله. (سيرة ابن هشام ٢/ ١٨٧).

لا بد للدعوة من تضحيات؛ فرغم ما في هذه الواقعة من الألم إلا أن ذلك لم يفت في عضد المسلمين، ولا فتر من حميتهم في الدعوة إلى الله ولا كسر من عزمهم في مواصلة الدعوة وخدمة دين الله؛ لأن مصلحة الدعوة فوق الأنفس والدماء. المفصل في السيرة النبوية (١٤٠٧).

٨- فيه فضيلة لهؤلاء القراء لقولهم: "بلغوا عنا إخواننا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا" مستخرج أبي عوانة (٧٣٤٦). وفي رواية "فأخبر جبريل عليه السلام النبيَّ صلى الله عليه وسلم، أنهم قد لقوا ربهم، فرضي عنهم، وأرضاهم"، فكنا نقرأ: أن بلغوا قومنا أن قد لقينا ربنا فرضي عنا، وأرضانا ثم نسخ بعد" البخاري (٢٨٠١).

٩- وفيه جواز أن يجد المؤمن على فقدان أخيه المؤمن استيحاشًا لفقده، وإن كان المفقود من أهل الجنة.

١٠- فيه دليل على أن أهل الحق قد ينال منهم المبطلون، ولا يكون ذلك دالًا على فساد ما عليه أهل الحق، بل كرامة لهم وشقاء لأهل الباطل، فإن هؤلاء حين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصيبوا كلهم كان ذلك فتنة للكافرين، ثم إن الله عز وجل أظهر دينه، وأعلا كلمته، ولم يضر ذلك الحق شيئًا. الإفصاح (٥/ ٩٤).

وفي الخبر فوائد وعبر أخرى نذكرها في العدد القادم إن شاء الله.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

يوجد مجلدات السنوات القديمة

سعر المجلد ٢٥ جنيه

بدلاً من ٥٠ جنيه

حتى عام ١٤٣٩ هـ

١٢٠٠ جنيه

سعر الكرتونة بدلاً من

١٥٠٠ جنيه

لفترة محدودة

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ مشترٍ

سعر المجلد الجديد

١٠٠ جنيه

لعام ١٤٤٣ هـ

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

Upload by : altawhedmag.com

علم نافع لايستغني عنها البيت المسلم

التوحيد

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة على عنوان المشترك) ٢٠٠ جنيه سنوياً.

للتواصل واتساب: ٠١٠٠٢٧٧٨٢٣٢

Upload by : altawhedmag.com